المقام التلفظي في شعر المتنبي

إعداد الباحثة

فوزية بنت محمد البطي

كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية

المقام التلفظي في شعر المتنبي

فوزية بنت محمد البطي

قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، بريدة. المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: Fawziah786@hotmail.com

الملخص:

عنوان البحث" المقام التلفظي في شعر المتنبي" ويتألف البحث من مبحثين تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة تبرز أهم النتائج.

ويهدف البحث إلى قراءة شعر المتنبي في ضوء مقاربة جديدة في مجال اللسانيات للتعويل على النص ذاته في بناء صورة الذات الشاعرة عبر القرائن الذاتية التي يُستدل من خلالها على خصوصية المتنبي. وقد اتبعت في ذلك إنشائية التلفظ وهي إنشائية تستمد أدواتها من اللسانيات التلفظية.

بدأ البحث ببيان مدى استفادة النصوص الأدبية من اللسانيات. ثم توضيح المقصود بمقام التلفظ. واهتم في المبحث الأول بأبرز علامات الذاتية التي نصّ عليها بنفينست فحُصر فيه ضميرا الشخص (المتكلم والمخاطب) مع بيان دلالة استعمالهما في شعر المتنبي وأكمل في المبحث الثاني دلالات استعمال أمارات الذات الزمكانية بعد حصرها.

ومن نتائج هذا البحث تبيان الحضور المكثف لضمير الأنا في ملفوظها وخلصنا إلى أنّه يمثّل العلامة البارزة الدالة على الذاتية وظهر جليا حرص المتلفظ بوصفه صاحب سلطة كلامية على استحضار مخاطبه وفق علاقة تواصلية ذات نزعة متعالية تارة ومتوافقة تارة أخرى.

كما دلت المشيرات الزمانية والمكانية باعتبارهما مكونين ضروريين في عملية التلفظ على أن المتلفظ مسكون بهاجس الحرية لذا تسير القرائن الزمكانية في خطين متوازيين هما الانفتاح المكاني والإطلاق الزماني.

الكلمات المفتاحية: التلفظ، الذاتية، القرائن، المشيرات الزمانية والمكانية، مقام التلفظ.

The Articulatory Mode in the Poetry of Al- Mutanabbi

By: Fawziah Bint Mohammed Al- Butay
Department of Arabic Language and Social Studies
Qassim University
Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

This research handles the articulatory mode in the poetry of Al-Mutanabbi. The research consists of an introduction, two research investigations and a conclusion which sums up the findings of the study. The research aims at reading the poetry of Al- Mutanabbi in the light of a new approach in the field of linguistics relying on the text itself to introduce an image of the poetic autonomy through subjective clues which surely lead to the privacy of Al-Mutanabbi's as a poet. The researcher has applied the articulatory creation which derived its tools from articulatory linguistics. Th research commences with emphasizing the extent to which literary texts have benefited from linguistics. Next, the research has shown out what is meant by the articulatory mode. The first research request displays the most apparent subjective signs which Ben Vincent has included and there the two personal pronouns (the addresser and the addressee) come together referring to the significance of being utilizd in the poetry of Al- Mutanabbi. The second research request has folowed the first one showing out the clues of utilizing signs of chronotropic autonomy after being counted. One of the findings of this research is that the pronoun "I" has appeared a lot as an articulation which represents a clear sign of the self. In addition, it has become clear that the articulator, identified as having speech authority, is keen on summoning a conversation in accordance with a communicative link sometimes of transcendental inclination and other times of compatible inclination. Moreover, being two basic constituents of the process of articulation, temporal and spatial signals indicated that the articulator is obsessed with freedom anxiety, therefore, chorioptic clues move together on parallel lines: spatial openness and temporal release.

Key words: articulation, autonomy, clues, temporal and spatial signals, articulatory mode.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

اســتفادت الدراســات الأدبيّة من اللســانيّات، باعتبارها العلم النموذجي في العلوم الإنســانيّة، فتطورت مناهج البحث الأدبيّ وكان من علامات ذلك أمران اثنان هما:

الأول: الانصــراف عن تصــور النصّ باعتباره وحدة كلاميّة مغلقة لا تحيل إلا على ذاتها، وكان هذا نتيجة التأثّر باللسانيّات البنيويّة، إلى مفهوم الخطاب " بوصفه ملفوظا يحمل علامات الذات المتلفّظة أوّلا وعالم الأشياء ثانيا، وهو مفهوم مستلهم من لسانيّات التلفّظ التي قامت ثورة على البنيويّة فأعادت الاعتبار إلى استعمال اللغة في المقامات المخصوصة.

الثاني: المماهاة بين ذات الشـاعر الواقعيّة وذاته النصّـية ويجب الحذر في التعامل مع الشـعر من مسـألة الخلط بين الذاتين. فالذات الواقعية وإن كان لها وجود خارج النص فإن الذي يهمنا في الشــعر هو تشـكلها النصـاني وهو " أنا لا يمت للأنا التاريخي المتجسـم في الشـاعر ذاته إلا بواهي الصّـلات[...] وإنما هو كائن خيالي تقدّه الجماليّة الشعرية ويضبط الفن معظم معالمه"

وعلى هذا الأساس تنطلق هذه الدراسة من النص ذاته لرسم ملامح الذات التي أرادها الشاعر أن تكون وليسـت الذات التي يسـتخلصـها الباحث من قراءته الخاصـة للواقع. وللتعرف على هذه الذات النصانيّة يتحتم علينا النظر في الظروف التي أنتجت هذا النص أي المقام التلفظي.

ومقام التلفظ عبارة تتكوّن من مصطلح "مقام" مضـافا إليه مصـطلح "التلفّظ" إضـافة تدلّ على التخصــيص والتعيين. فالمقام مفهوم عامّ إشــكاليّ ســواء في القديم أو في الحديث. إذ ارتبط هذا المصطلح، في المدوّنة البلاغيّة العربيّة القديمة، بـمصطلح "الحال" فترادفا حينا واختلفا حينا آخر. أمّا الترادف فمرجعه إلى اشــتراكهما في الدلالة على الأســباب والظروف التي يُدعى المتكلّم إلى مراعاتها عند قوله، وهو المعنى الذي جاء في تعريف الحال بكونه " الأمر الداعي إلى أن يُعتبر مع الكلام الذي

يُؤدى به أصل المراد خصوصية ما"[١].

والأمر الداعي مفهوم واسع فقد يشتمل على أحوال المخاطَب (فلابد من مراعاة حاله في استعمال أضرب الخبر: الابتدائيّ والطلبيّ والإنكاريّ) وقد يشمل الأمر الداعي، أيضا، ظروف الخطاب: الزمان والمكان، فيكون بذلك الحال أو المقام شاملا لكلّ ظروف التلفّظ.

وأمّا الاختلاف بين المقام والحال فمرجعه إلى تمييز البلاغيّين العرب القدامى بين عناصر المقام استنادا إلى الفرق بين العبارتين من حيث دلالتهما المعجميّة. فقد "فسّر بعض البلاغيين الفرق بين المقام والحال، على أساس أنّ الكلمة الأولى دالّة على المكان والثانية دالّة على الزمان، فتكون رعاية المقام رعاية لمكان القول ورعاية الحال رعاية لزمانه"[٢].

وسواء ترادفت العبارتان أو اختلفتا فالمقصود بهما معا كلّ ما يبرّر اختيار المتكلّم لقول دون آخر، من أحوال تتّصل بالمخاطَب أو حتّى بالشاهدين على عمليّة التخاطب، وظروف ترتبط بمكان القول وزمانه.

أمّا حديثا فقد اقترن مصطلح "المقام" (Situation) بمصطلح "السياق"(context) واختلفت في شأنهما الآراء بين مرادف بينهما ومميّز لأحدهما من الآخر. إذ يرى البعض أنّ كلمة "سياق" تشير بشكل عام إلى " كل ما يحيط بعنصر ما سواء كان لغويا أو غير لغوي"، فيكون بذلك مرادفا للمقام. في حين يستعمله البعض الآخر للإشارة خاصّة إلى المحيط اللغويّ، وعلى هذا الأساس يفضّلون تسميته بـ"السياق المقالي" تمييزا له من "السياق المقاميّ"[٣].

وفضلا عن هذا الإشكال المرتبط بالتنوّع الاصطلاحي في الإشارة إلى مفهوم المقام، يثير هذا

---

(١) التفتازاني (سعد الدّين) ، المختصر ضمن شروح التلخيص، دار السرور، بيروت ـ لبنان، د ـ ت، ج ١، ص١٢٢-١٢٣.

(٢) لمزيد اطلاع ينظر: المنوال البلاغي من البناء القائم إلى البناء الممكن، بسمة الشكيلي، مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، ٢٠١٤، ط١، ص ١٤٩.

(٣) حول مسألة السياق والمقام راجع: شارودو(باتريك) و منغنو (دومينيك) ، معجم تحليل الخطاب، مقال "سياق" ص١٣٣، ومقال "مقام التواصل" ص ٥١٨.

المفهوم إشكالا آخر متعلّقا بجهة تحديده. فهل المقام شيء خارج عن اللغة مرتبط بالمحيط الواقعيّ، سواء كان نفسيّا، أو تاريخيّا، أو اجتماعيّا ،أو ثقافيا، أم هو مسجَّل في اللغة وكامن فيها، أم هو كذلك عرفانيّ لا يخرج عمّا في الأذهان من عوالم مشتركة؟ كلّ هذه الأسئلة طرحها المشتغلون على اللغة والخطاب معا واختلفت إجاباتهم عنها فاختلفت مقارباتهم وكان لهذا الاختلاف أثر في معالجة الخطاب وتحليله(١).

وفي هذا السياق تتّضح قيمة التخصيص الحاصل بإضافة المقام إلى التلفّظ ونسبته إليه في عبارة "مقام التلفّظ" التي استعملتها الباحثة، وينكشف سبب اختيارها لها دون غيرها من العبارات التي اقترنت بها ويُخشَى أن تلتبس بها. فقد استُعمل في مجال تحليل الخطاب مصطلحان آخران هما " مقام التواصل" و " مقام الخطاب". وتجنُّبا للخلط بين المصطلحات الثلاثة اقترح باتريك شارودو ودومنيك منغنو تمييزا واضحا بينها، فبيّنا أنّ "مقام التواصل" يُطلق "عندما نحيل على المحيط خارج اللغوي"(٢) وهو المحيط الذي يسمح بـــ "معرفة إلى من أو إلى ماذا تحيل الضمائر وبعض الردائف (أنا، أنت، هو، هذا، هنا، أمس ...) وإزالة اللبس ...ويسمح باكتشاف المُضمَر الخفيّ ...واكتشاف معنى الملفوظ حسب التموقع الإيديولوجيّ للمتلفِّظ به ..."(٣). ويُستعمل "مقام الخطاب" عندما نحيل على معطيات المعرفة الجارية بين الخطابات والتي تحدّد أقصى التحديد ذوات التبادل اللغويّ"(٤). أمّا مقام التلفّظ فيُستعمَل "عندما نحيل على إخراج الخطاب الذي يوسم بواسمات لغويّة ذات قيمة إشاريّة أو عائديّة أو عمل متضمّن في القول"(٥)

(١) حول هذه الأسئلة وغيرها وحول الأجوبة التي قُدّمت لها، راجع السابق ص ٥١٩.

(٢) السّابق، ص٥٢٠.

(٣) السابق ص ٥١٨-٥١٩.

(٤) السابق ص ٥٢٠.

(٥) نفسه.

ولمزيد بيان حول هذه المصطلحات وما بينها من فروق نقترح المثال الآتي:

" نلتزم بالاهتمام بأبنائكم"

تمكّننا العودة إلى "مقام التواصل" من معرفة أنّ الأمر يتعلق بملفوظ إشهاري وأنّ وراء ضمير الجمع (نحن)، المستفاد من" نهتم"، جهة هي روضة أطفال، ووراء ضمير المخاطب، المستفاد من "أبناءكم"، مستهلكون وأن هدف الجهة صاحبة الملفوظ الإشهاري هو حث الأُسَرِ على إلحاق أطفالهم بهذه الروضة مما يحجب المفعول الإنجازي للملفوظ.

ويمكّننا الرجوع إلى "مقام الخطاب" من قبول هذا الاقتراح الغريب (لأنه لا يمكن لأي روضة من رياض أطفال أن تدّعي القيام بواجبنا تجاه أبنائنا مكاننا) باعتباره جزءا من اللعبة اللغوية، أي باعتباره أمرا راجعا إلى غائية تجارية خاصّة بالخطاب الإشهاريّ.

أما "مقام التلفظ" فيعلمنا بأن الملفوظ منوط بطرفين الأول يمثله المتلفظ وهو الكائن الجماعي (نحن) والثاني يمثّله المخاطَب وهو كائن جماعي (أنتم) وأنّ القول يتضمن عملا له هيئة إنجازية (نلتزم).[1]

وبهذا يتضح لنا أن مقام التلفظ لا يُقصد به ذلك المقام الخارجي الواقعي الذي يُعرف بالرجوع إلى حدث التواصل الحقيقيّ بأطرافه الفاعلة وظروفه الحافّة، أو يُدرك بعرفة مُسبقة للأنواع الخطابات وأجناسها، بل هل صورة التلفّظ المنعكسة في الملفوظ والمتجلّية بعلامات لغويّة تشير إليه وتدلّ عليه.

(١) استفادت الباحثة في تحليل هذا المثال بتحليل صاحبي المعجم لمثال شبيه به، نفسه.

المبحث الأول

ضميرا الشخص وتعالق الذاتيّة

حدّد بنفينست توصيفًا يبسط فيه القرائن اللغوية التي تحيل على ذاتية المتلفظ في ملفوظه وقد لخصها في (أنا / الآن / هنا) مبتدئا بالضمير بوصفه أبرز وحدة لغوية تدل على المتكلم داخل مقام التلفظ.

يجدر بنا قبل أن نعرّف المقصود بالضمائر الشخصية أن ننظر في دراسة بنفينست للضمائر في الفرنسية فقد درسها في "نظام تقابلي جعل (أنا/ أنت) الطرف الأول ويمثل (هو) الطرف الثاني واعتبر ضميري المتكلم والمخاطب ضمائر شخصيّة أما ضمير الغائب فأسماه ضمير اللاشخص[١] وعدّه أساسا في تناوله لقضايا ثلاث هي:

١- المصطلحات المستعملة للتمييز بين الضمائر في الأنحاء الغربيّة

٢- دلالة الضمائر على العدد

٣- دلالة الضمائر على الذاتيّة"[٢]

وفيما يخص القضية الأولى أكد بنفينست على "أن المصطلحات الضمائر في النحو الغربي التي تجعل اسم الشخص لضمائر الشخص الأول والثاني والثالث مصطلحات مضللة وغير متجانسة ولا تصّور طبيعة الضمائر وأن مصطلحات النحو العربي (ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب) أفضل منها ولذا سمّى ضمير الغيبة باللاشخص"[٣]معلّلا رأيه فيما يأتي:

أولا: " أن ضميري أنا المتلفظ وأنت المخاطب يمتازان بتفردهما فهما في كل مرة شخصان ماثلان في الخطاب بخلاف ضمير الغيبة الذي يحيل على مالا نهاية له من الفاعلين.

---

(١) عدّ بمفينست ضمير الغائب لا شخص لغيابه عن العملية التخاطبية.

(٢) بنفينست (إيميل)، بنية علاقات الشخص في نظام الفعل، ترجمة: منصور المغيري ضمن إطلالات على التفكير اللساني في النصف الثاني من القرن ٢٠، ص٥٣٥.

(٣) ينظر: نفسه.

ثانيا: أن العلاقة بين أنا وأنت علاقة حواريّة يمكن أن ينقلب أحدهما إلى الآخر، فمن يعرفه (أنا) بأنه (أنت) يرى نفسه (أنا) ويمكن أن ينقلب إلى تلك الحال بينما ينقلب (أنا) إلى (أنت) وتنعدم أية علاقة مشابهة بين هذين الشخصين مع ضمير الغائب لأن (هو) لا يعيّن فردا محددا.

ثالثا: وهو ما يجب التنبيه عليه وهي ميزة خاصّة بالشخص الثالث تتمثل في كونه(هو) الوحيد الذي قد يسند إلى ذات فاعلة وقد يسند إلى حكم (جوامد)"[١]

من خلال ما سبق نجد أن "ضمير اللاشخص عند بنفينست يقابل الضميرين الشخصيين في تعالق الحضور والغيبة، ولكنه ليس التعالق الوحيد الذي يتشكل داخله نظام الضمائر التقابلي وإنما ينتظم هذا النظام التقابلي تعالق آخر يسمى تعالق الذاتية وهو تعالق يخص الضمائر الشخصية فقط"[٢] وهو ما يشكل علاقة المتلفظ بالمخاطب.

وهذا يوضح موقف بنفينست حين يقرر أن ضمير الشخص الأول "أنا" والعلامات الموصولة به هي العلامة الوحيدة التي تعبر عن الذاتية في اللغة"[٣].

إن السبيل إلى دراسة الذاتية في اللغة لا تتم إلا عبر عملية التواصل اللغوي الذي تتحول فيه اللغة إلى خطاب. فهما في الحقيقة عالمان مختلفان والخطاب هو عالم الذات الأمثل إذ يحرك فيه "المتلفظ اللغة لحسابه الخاص "لينشئ تجربة فردية خاصة.

والتلفظ بالذاتية شديد الاتصال بالحوار " فاللغة قبل القول ليست إلا إمكان اللغة وهي بعد القول متحققة في حدث خطاب يصدر عن متكلم في صورة صوتية تبلغ سامعا وتتسبب ارتدادا في نشأة قول

(١) بنفينست (إيميل)، بنية علاقات الشخص في نظام الفعل، ترجمة: منصور المغيري ضمن إطلالات على التفكير اللساني في النصف الثاني من القرن ٢٠، ص٥٣٥.

(٢) ينظر: السابق (بنية علاقات الشخص في نظام الفعل،) ص٥٤٦-٥٤٧. وتعدد الأصوات وإلقاء القول ضمن القاموس الموسوعي للتداولية، ص٣٥٩.

(٣) نفسه.

آخر "[١] وهذا يعني أن المتكلم يعرب عن نفسه متكلما بقرائن مخصوصة[٢] أبرزها الضمير.

والضمير في اللغة يدل على الخفاء والسر فهو" الشيء الذي تضمره في قلبك"[٣] ولعل ذلك يوحي بأن" الضمير من أخصب المواطن التي يشيع فيها الوهم والخلط والغلط"[٤]

لهذا أسس بنفينست نظريته في الضمائر على فكرة أن الضمائر خارج إطار التلفظ فارغة الدلالة فهي لا تحيل على معنى مرجعي في ذاتها، بل إن مرجعيتها مرتبطة بالمقام التلفظي الذي جرى استعمالها فيه بعد أن تبينا أن المقصود بالضمائر الشخصية هي ضمائر الحضور بنوعيها (التكلم والخطاب) فإننا سندرسها في الّديوان وفق المحاور الآتية.

كيف تحيل الأنا في ملفوظها على الذات؟

وما هي مواضع تشكل الذات في ملفوظها؟

وما طبيعة العلاقة بين أنا وأنت؟

تعرّف الأنا كما حدّها بنفينست بأنها "الفرد المتلفظ بالقول وضمير الأنا يختص بالإحالة على أفراد (أشخاص مثل أحمد أو هند ...) وينبغي التنبه إلى أنه لا يحيل على شيء خارج النص ولا يتحدد إلا في الخطاب بخلاف الوحدات الاسمية التي تشير إلى مفاهيم فإذا كان مفهوم " شجرة" يجمع كل الاستعمالات لكلمة شجرة فإنه لا يوجد مفهوم لـ "أنا" يشمل كل المتكلمين وإنما يستمد الضمير قيمته المرجعية بواسطة عملية التلفظ وهذا يعني أن الضمائر وحدات لسانيّة فارغة بما أن مرجعها يتغير حسب مقام التلفظ"[٥].

وباستقراء مدونة البحث وجدنا أن عدد القصائد (٢٨٥) قصيدة وعدد أبيات (١٥٦٩٧) وذلك

(١) بنفينست(إميل)، جهاز القول الشكلي، ص٥٥٢.

(٢) هي أنا والآن وهنا.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٦١.

(٤) الواد (حسين) ، المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤، ط١، ص١٢٩.

(٥) ينظر: بنفينست(إميل) ، جهاز القول الشكلي، ص٥٥٣.

على النحو الآتي:

هيئات ورود ضمير المتكلم:

كل خطاب يحتاج إلى ذات تتعهد بالقول وهي ضمير المتكلم الذي يشكل ٨٨٪ من نظام القصائد في مدونة البحث فقد رأينا المتلفظ يحيل على ذاته في (١٨٧٧) بيتا بواسطة ضمير المتكلم أنا والأشكال المتصلة به (ياء المتكلم ونا الفاعلين) فتتلقى الضمائر حينئذ قيمتها التعيينية بما أن المتكلم مصدر التعهد بالقول. وقد ورد تعرف الذات في خطابها في شكلين هما:

١ _ ١ ضمير المتكلم المفرد

وهو النوع الغالب في الدّيوان إذ يشكل٦٩٪ من نظام الأبيات المحيلة على الأنا بواقع (١٢٩٩) بيتا ويأتي متصلا تارة ومنفصلا تارة أخرى ظاهرا ومستترا.

ومن نماذج ذلك قوله من المتقارب[١]:

قُضاعَةُ تَعلَمُ أَنّي الفَتى الَـ ... ـذي اِدَّخَرَت لِصُروفِ الزَمانِ
وَمَجدي يَدُلُّ بَني خِندِفٍ ... عَلى أَنَّ كُلَّ كَريمٍ يَمانِ
أَنا اِبنُ اللِقاءِ أَنا اِبنُ السَخاءِ ... أَنا اِبنُ الضِرابِ أَنا اِبنُ الطِعانِ
أَنا اِبنُ الفَيافي أَنا اِبنُ القَوافي ... أَنا اِبنُ السُروجِ أَنا اِبنُ الرِعانِ
طَويلُ النِجادِ طَويلُ العِمادِ ... طَويلُ القَناةِ طَويلُ السِنانِ
حَديدُ اللِحاظِ حَديدُ الحِفاظِ ... حَديدُ الحُسامِ حَديدُ الجَنانِ
يُسابِقُ سَيفي مَنايا العِبادِ ... إِلَيهِم كَأَنَّهُما في رِهانِ
يَرى حَدُّهُ غامِضاتِ القُلوبِ ... إِذا كُنتُ في هَبوَةٍ لا أَراني
سَأَجعَلُهُ حَكَماً في النُفوسِ ... وَلَو نابَ عَنهُ لِساني كَفاني

يستخدم المتلفظ ضمير المتكلم المفرد بكثافة لإثبات هويته في سائر شعره فقد ورد منفصلا (١٦) مرة ومتصلا (ست مرات) وهذا الورود ظاهر أحيانا ومستتر أخرى ويدل ذلك على طغيان الذاتية في النص

(١) الدّيوان، ص٢٤٣.

ورغم ذلك فإن هذا النوع لم يكن الشكل الوحيد وإنما يؤازره ضمير التكلم الجمع.

١-٢ ضمير المتكلم الجمع.

يغلب ضمير التكلم بهيئة الجمع في (٣٣) قصيدة أي ١١٪ بواقع (٣٨٣) بيتا أي ٢٠٪ من الأبيات الواردة بضمير المتكلم. ومن نماذج ذلك قوله من الوافر[١]:

أَبا لغَمَراتِ توعِدُنا النَصارى وَنَحنُ نُجومُها وَهِيَ البُروجُ
وَفينا السَيفُ حَملَتُهُ صَدوقٌ إِذا لاقى وَغارَتُهُ لَجوجُ
نُعَوِّذُهُ مِنَ الأَعيانِ بَأساً وَيَكثُرُ بِالدُعاءِ لَهُ الضَجيجُ
رَضينا وَالدُمُستُقُ غَيرُ راضٍ بِما حَكَمَ القَواضِبُ وَالوَشيجُ
فَإِن يُقدِم فَقَد زُرنا سَمَندو وَإِن يُحجِم فَمَوعِدُهُ الخَليجُ

تبرز الذات المتلفظة في هذه الأبيات بأناها المتضخمة وهو الشكل الآخر من أشكال حضور الأنا في الخطاب وقد "ميّز بنفينست وأوركيوني في جمع الشخص الأول(نحن) بين صيغتين متميزين، هما:

أولا: الصيغة الاحتوائية وتتكون من أنا + أنت.

ثانيا: الصيغة الإقصائية وتتكون من أنا + هم.

ويلاحظ على الصيغتين تركيزهما على المكون الأول (أنا) بغض النظر عن هوية المكون الثاني وهو (لا أنا) وهذا ما نبّه إليه بنفينست فلا وجود لـ(نحن) إلا انطلاقا من (أنا) فداخل (نحن) يظل (أنا) العنصر المسيطر بما فيه من سمة التعالي مما يعني أن الأنا شرط أساسي في بناء نحن في صيغتيه فيدل ضمير التكلم الجمع على شخص متضخم ليس له حدود"[٢] وهذا هو ضمير العظمة (نحن).

وبعد البحث في المواضع التي رصدنا فيها ضمير المتكلم جمعا في الدّيوان تبيّن لنا أنها ترد في الصيغتين، ولكنها في الغالب الأعم (أي في غالبية نسبة ورود ضمير الجمع التي تشكل ١١٪) تندرج ضمن الصيغة الاحتوائية (أنا+ أنت) تتساوى في ذلك أبيات الفخر والرثاء والعتاب.

---

(١) الدّيوان، ، ص٥٣.

(٢) ينظر: بنفينست (إيميل) ، بنية علاقات الشخص في نظام الفعل، ص٥٤٣.

ومن نماذج ذلك قوله من الطويل في مرثية محمد بن إسحاق التنوخي[١]:

لِأَيِّ صُـــروفِ الـدَهـرِ فـيـهِ نُـعـاتِـبُ وَأَيَّ رَزايـاهُ بِـوِتـرٍ نُـطـالِـبُ
مَضـى مَن فَقَدنا صَـبرَنا عِندَ فَقدِهِ وَقَد كانَ يُعطي الصَبرَ وَالصَبرُ عازِبُ
رَثى اِبنَ أَبـيـنـا غَـيـرُ ذي رَحِـمٍ لَـهُ فَـبـاعَـدَنـا مِـنـهُ وَنَـحـنُ الأَقـارِبُ
وَعَـرَّضَ أَنّـا شـامِـتـونَ بِـمَـوتِـهِ وَإِلّا فَـزارَت عـارِضَـيـهِ الـقَـواضِـبُ

وقد لفتنا أن ضمير المتكلم الجمع في صيغته الاحتوائية يتخذ حسب تنوع مكوناته شكلين هما:

(أ)نحن= أنا وضمير المخاطب

وتسـمي أوريكيوني هذا "الاجتماع بين الأنا وأنت بـــ (نحن) الانضـمامي إذ فيه ينضـم الأنا إلى ضمير المخاطب المشارك في عملية التخاطب وتعتبره مشيرا محضا "[٢] لخلوصه من ضمير الغيبة.

وهذا من قبيل قوله من الخفيف[٣]:

أَلَـم يَـكُ بَـيـنَـنـا بَـلَـدٌ بَـعـيـدٌ فَصَـيَّـرَ طـولَـهُ عَـرضَ الـنِـجـادِ
وَأَبـعَـدَ بُـعـدَنـا بُـعـدَ الـتَـداني وَقَـرَّبَ قُـربَـنـا قُـربَ الـبِـعـادِ

ويكوّن نحن في هذا البيت الأنا المادح وأنت الممدوح المشار إليه في البيت السّابق للبيتين

فَـلَـم تَـلـقَ اِبـنَ إِبـراهـيـمَ عَـنـسـي وَفـيـهـا قـوتُ يَـومٍ لِـلـقُـرادِ

وقد لاحظنا قدرة ضـمير نحن في (بيننا / بعدنا / قربنا) على تحيين الوحدات اللسـانية وربطها بلحظة التلفظ باعتبار أن خطاب الأنا يستلزم حضور أنت ليجتمعا في كل واحد لا تتجانس مكوناته.

(ب)- نحن= أنا و∞

(١) الدّيوان، ص٣١.

(٢) ينظر:

ORECCHIONI (Catherine Kerbrat) ,L'énonciation. De lasubjectivité dans le langage (Paris: éd. Armand Colin, 1989) , p.41

وترجم إلى العربية بواسطة برنامج ترجمة.

(٣) الدّيوان، ص٦٩.

ونشير بهذا الشكل ∞ إلى المواضع التي لا تنضم فيها الأنا إلى ضمير آخر رغم أننا نجد ضمير نحن. وهذه الحالة "تناسب نحن البلاغية عند أوركيوني وهو عندها أنا متعدد يرتبط بوضعيات شاذّة كالإنشاد الجماعي"(١)

وقد ورد هذا الشاذ في الدّيوان بنسبة ضئيلة فالأبيات التي ورد فيها هذا الأنا الجمع لا تتجاوز ٣٪ من مجموع أبيات الدّيوان وهي تنقسم فيما بدا لنا إلى قسمين، هما:

ب-١ نحن = أنا المفردة

وهذا الشكل هو المطرد في الأبيات التي ترد فيها نحن وفي هذه الحالة تحظى الأنا المفردة بالاهتمام والتفخيم فيستأثر نحن بالدلالة عليها ويأتي غالبا في الحالات التي تحكي فيها الذات تجاربها الشخصية خاصة تلك التي تتعلق ببطولاتها أو بالآخر ممدوحًا كان أو مهجوًا أو مرثيًّا.

ومما تكشف فيها الأنا المفخمة فروسيتها قوله من المتقارب(٢):

وَأَمسَت تُخَيِّرُنا بِالنِقابِ ... وادي المِياهِ وَوادي القُرى
وَقُلنا لَها أَينَ أَرضُ العِراقِ ... فَقالَت وَنَحنُ بِتُربانَ ها
وَرَدنا الرُهَيمَةَ في جَوزِهِ ... وَباقيهِ أَكثَرُ مِمّا مَضى
فَلَمّا أَنَخنا رَكَزنا الرِماحَ ... فَوقَ مَكارِمِنا وَالعُلا
وَبِتنا نُقَبِّلُ أَسيافَنا ... وَنَمسَحُها مِن دِماءِ العِدا
وَنامَ الخُوَيدِمُ عَن لَيلِنا ... وَقَد نامَ قَبلُ عَمىً لا كَرى
وَكانَ عَلى قُربِنا بَينَنا ... مَهامِهُ مِن جَهلِهِ وَالعَمى

وأما ما يتعلق بتجربته الشخصية مع الآخر خاصة الممدوح فتتسرد الذات حكايتها في مسيرها إليه كقوله في مدح علي بن محمد بن سيار من المنسرح(٣):

(١) ينظر: فعل القول من الذاتية في اللغة.

(٢) الدّيوان، ص١٨.

(٣) السّابق، ص٣٦،٣٧.

ولـمّـا قَـلّـتِ الإبْـلُ امْـتَـطَـيْـنَـا إلـى ابـنِ أبـي سُـلَـيْـمـانَ الـخُـطُـوبَـا

وبعد الوصول تقص الأنا المفخمة تجربة العطاء فتقول من الطويل[١]:

نَـجُـوزَ عَـلَـيْـهَـا الْـمُـحْـسِـنِـيـنَ إِلَـى الَّـذِي نَـرَى عِـنْـدَهُـمْ إِحْـسَـانَـهُ وَالْأَيَـادِيَـا

ب-٢نحن= الجمع

وفي هذا الشكل يتحد كل من أنا + أنت + الآخر اتحادا قويّا فيكون الضمير نحن ناطقا بلسان الجماعة وما من شك في أن وجود الآخر " يشكل جزءا مهما في تأكيد وعي الأنا النوعي بنفسه"[٢] وإن كان هذا الآخر تحت سلطة الأنا.

ويتجلى هذا الاتحاد في مدونة البحث غالبا في الأبيات التي تجري مجرى الحكمة وعلى هذا نزعم أن نحن فيهما أنا جمع وإن غاب فيها صوت المفرد باعتباره " ذاتا مقدمة على أنها المسؤولة عنه. يعني باعتبارها الشخص الذي يجب تحميله مسؤولية هذا الملفوظ "[٣]

ومما ورد في هذا الشأن قوله من الكامل[٤]:

أَبَـنـي أَبـيـنـا نَـحـنُ أَهـلُ مَـنـازِلٍ أَبَـداً غُـرابُ الـبَـيـنِ فـيـهـا يَـنـعَـقُ

نَـبـكـي عَـلـى الـدُنـيـا وَمـا مِـن مَـعشَـرٍ جَـمَـعَـتـهُـمُ الـدُنـيـا فَـلَـم يَـتَـفَـرَّقـوا

فالخطاب صادر من الأنا ولكن الصوت صوت الجماعة وهكذا " يتبدى لنا جليا أن وجود الأنا هو وجود الكل وغيابه هو غياب الكل"[٥].

هكذا رأينا كيف يكتسب الأنا قيمته في الخطاب سواء كان التعرف بالضمير المنفصل " تعزيزا لوعي

(١) الدّيوان، ص٢٦١.

(٢) الحداد (عباس يوسف) ، الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا،دار الحوار، سورية، ٢٠٠١، ط١، ص٢٧٩.

(٣) ديكرو (أزوالد) القول والمقول، ص١٨٧.

(٤) الدّيوان، ص١٣٥.

(٥) الحداد (عباس يوسف) ، الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا، ص٢٩٤.

الذات المتلفظة بكينونتها"[١] أو جاء الضمير متصلا بالفعل لـــ "يعزز مشهد التشابك"[٢]بين طرفي الخطاب المتلفظ والمتلفظ المشارك الذي نستدل على وجوده من خلال خطاب الأنا.

٢- هيئات ورود المخاطب:

إذا كان المتلفظ مصدر القول فإن المخاطب هدفه. لذا "يكتسب (أنت) هويته بواسط التمييز قياسا إلى المتلفظ"[٣]. وقد أحال المتلفظ على الآخر في (١٦٥٨) بيتا بضمير الخطاب (أنت) والأشكال المتصلة به (الكاف) مفردا كان أو جمعا.

وقد حضر المخاطب في المدونة في هيئات ثلاث هي:

٢ ـ ١ المخاطب الصريح المختلف عن الأنا:

وفيه تتوجه الذات المتلفظة بخطابها إلى كائن آخر ويكون الضمير الدال على المتلفظ والمتلفظ المشارك ظاهرا في الخطاب ومن شواهد ذلك قوله من البسيط يمدح عبيد الله بن يحيى البحتري[٤]:

بَكيتُ يا رَبعُ حَتّى كِدتُ أَبكيكا ... وَجُدتُ بي وَبِدَمعي في مَغانيكا

فَعِم صَباحًا لَقَد هَيَّجتَ لي شَجَنًا ... وَاردُد تَحِيَّتَنا إِنّا مُحَيّوكا

بِأَيِّ حُكمِ زَمانٍ صِرتَ مُتَّخِذًا ... رِئمَ الفَلا بَدَلًا مِن رِئمِ أَهليكا

أَيّامَ فيكَ شُموسٌ ما انبَعَثنَ لَنا ... إِلّا ابتَعَثنَ دَمًا بِاللَحظِ مَسفوكا

وَالعَيشُ أَخضَرُ وَالأَطلالُ مُشرِفَةٌ ... كَأَنَّ نورَ عُبَيدِ اللهِ يَعلوكا

نَجا امرُؤٌ يا ابنَ يَحيى كُنتَ بُغيَتَهُ ... وَخابَ رَكبُ رِكابٍ لَم يَؤمّوكا

أَحيَيتَ لِلشُعَراءِ الشِعرَ فَامتَدَحوا ... جَميعَ مَن مَدَحوهُ بِالَّذي فيكا

وَعَلَّموا الناسَ مِنكَ المَجدَ وَاقتَدَروا ... عَلى دَقيقِ المَعاني مِن مَعانيكا

(١) حيزم (أحمد) ، من شعرية اللغة إلى شعرية الذات، دار صامد، صفاقس ـ تونس، ٢٠١٠، ط١، ص١٤٨.

(٢) السابق، ص١٤٩.

(٣) ريفارا (رينيه) ، لغة القصة (مدخل إلى السّرديات التلفظيّة) ، ص٥٧.

(٤) الدّيوان، ص١٤٣-١٤٤.

فَكُن كَما أَنتَ يا مَن لا شَبيهَ لَهُ أَو كَيفَ شِئتَ فَما خَلقٌ يُدانيكا

تتجلى الرابطة بين المتلفظ ومخاطبه أيمّا تجلّ وخاصة في المديح فما من قصيدة مدحية إلا واشتدت أواصر العلاقة بين الطرفين فيعدد الأول أوصاف الثاني ويتغنى بها.

٢ـ٢ المخاطب الضمني.

وفيه يوجه المتلفظ خطابه إلى مخاطب ضمني لا يتم التصريح به.

ومن شواهد ذلك قوله من البسيط[١]:

أَبدو فَيَسجُدُ مَن بِالسوءِ يَذكُرُني وَلا أُعاتِبُهُ صَفحًا وَإِهوانا

وَهَكَذا كُنتُ في أَهلي وَفي وَطَني إِنَّ النَفيسَ غَريبٌ حَيثُما كانا

مُحَسَّدُ الفَضلِ مَكذوبٌ عَلى أَثَري أَلقى الكَمِيَّ وَيَلقاني إِذا حانا

يحضر في الأبيات السّابقة أحد طرفي الخطاب وهو المتلفظ أما المخاطب فيستحضر عن طريق الاستدلال لأن الخطاب يقتضي (أنا- أنت) تلك هي العلاقة "الذاتية البينية وهي إجبارية وبدونها لن نستطيع دراسة الذاتية "[٢]

٢ـ٣ المخاطب الأنا (انشطار الذات).

لفتنا في المدونة مظهر آخر من مظاهر تخفي الأنا وهو الحوار الباطني ويكون ذلك بتوجيه الخطاب إلى أنت وهو يقصد أناه وغالبا ما نجد لجوء المتلفظ إلى هذه الطريقة في مطالع القصائد فتنشطر الأنا حينئذ إلى ذاتين ذات مخاطِبة وأخرى مخاطَبة فتنشأ العملية التخطابية

وفي هذه الحالة "يكون الأنا المتكلم وحده هو من يتحدث ولكن الأنا السامع يظل موجودا حاضرا فحضوره ضروري وكاف ليجعل قول الأنا المتكلم دالا"[٣]

وقد وجدنا انشطار الذات في المدونة يتخذ هيئتين هما:

(١) الدّيوان، ص٢٤٨.

(٢) شارودو(باتريك) ومنغنو (دومينيك)، معجم تحليل الخطاب، ص٥٣٧.

(٣) بنفينست (إيميل)، جهاز القول الشكلي، ص٥٥٦.

٢ـ٣ـ أ ـ ضمير الخطاب مع ما يصحبه من صيغ الأمر والنهي ومن شواهد ذلك قوله من الطويل[١]:

كَفى بِكَ داءً أَن تَرى المَوتَ شافِيا وَحَسبُ المَنايا أَن يَكُنَّ أَمانِيا
تَمَنَّيتَها لَمّا تَمَنَّيتَ أَن تَرى صَديقًا فَأَعيا أَو عَدُوّاً مُداجِيا
إِذا كُنتَ تَرضى أَن تَعيشَ بِذِلَّةٍ فَلا تَستَعِدَّنَّ الحُسامَ اليَمانِيا
وَلاتَستَطيلَنَّ الرِماحَ لِغارَة وَلاتَستَجيدَنَّ العِتاقَ المَذاكِيا

٢ـ٣ـ ب ـ ضمير الخطاب مع التمني بضمير الجمع (ضمير الجمع في الأبيات هو "نحن" الانضمامي المكوّن من أنا + أنت) ومن شواهد هذا النوع قوله من البسيط[٢]:

وَاحَرّ قَلْباهُ مِمّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ وَمَنْ بِجِسْمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ
ما لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدي وَتَدّعي حُبّ سَيفِ الدّوْلَةِ الأُمَمُ
إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرّتِهِ فَلَيْتَ أَنّا بِقَدْرِ الحُبّ نَقْتَسِمُ

إن الحوار بين أنا وأنت "يظل دائما شكلا شخصيا"[٣] حتى وإن كان الآخر افتراضيا. فلا شيء في النموذجين السّابقين يدل على أنهما لا يتوجهان إلى مخاطب حقيقي مستقل عن الذات المتلفظة غير الخاصية التركيبية للغة.

ففي النموذج الأول "يجلي استخدام ضمير المخاطبة مع ما يصحبه من صيغ الأمر تمزقا داخليا تنشطر معه الشخصية وأحيانا صراعا بين الضمير الأخلاقي وإغراء يجدر دفعه"[٤]

وعلى هذا فالأنا المتلفظ بها هي أناه الأعلى و يمثل الإغراء المدفوع بواسطة ضمير الخطاب آخرا متميزا من أنا المتلفظ أصالة.

أما في النموذج الثاني فإن استخدام ضمير الجمع مع التمني يثبت عدم " وجود صراع حقيقي بين

(١) الدّيوان، ص٢٦٠

(٢) السّابق، ص٢٠٣.

(٣) بنفينست (إيميل) ،جهاز القول الشكلي، ص٥٥٦.

(٤) ينظر: ريفارا (رينيه) ، لغة القصة(مدخل إلى السّرديات التلفظيّة) ، ص٤٩ .

مظهرين من مظاهر الشخصية (الذات المتكلمة) وإنما تنقسم ذات المتلفظ إلى شخصين يتوجه الأول إلى الآخر لإبراز الوفاق الموجود بينهما فقد اتخذ موقفا يربط الطرفين الحاضرين معا ويجمع بينهما"[١]

وهكذا نستطيع التمييز بين المتخاطبْين هل يتواجهان أو يتفقان في الحوار الباطني أو ما يسمى بالمونولوغ. إن انشطار الذات " حوار بالمعنى اللساني للكلمة"[٢] فأي قول من حيث كونه خطابا يتطلب أمرين ضروريين هما المتلفظ والمتلفظ المشارك يشكل الأول "مصدرا للقول والآخر هدفا له. إنها بنية المقاولة والحوار"[٣] وهي البنية التي تؤكد علاقة التخاطب بين المرسل والمرسل إليه سواء كان الثاني فردا، أو جماعة حقيقيا، أو خياليا حاضرا ،أو غائبا يستدل على وجوده من الملفوظات نفسها.

هكذا رأينا كيف تنخرط الذات المتلفظة في خطابها منعقدة إلى الآخر وقد ورد تعرفهما في المدونة عبر الخاصيّة النحوية وفق الشكل الآتي:

٣ ــ الخاصية النحوية للتعرف على طرفي الخطاب.

نبدأ بالمتلفظ لأنه منشئ العلاقة التخاطبية فقد جاء تعرّفه في سائر شعره من خلال الإسناد إلى ضمير التكلم المفرد وقد تحقق هذا الإسناد في صور متعددة تكون مجالا خصبا يؤكد فيه الأنا هويته وهي على النحو الآتي:

٣ ـ ١ ـ التعرف عبر الجملة الاسمية، وتأتي في ثلاث صيغ هي:

٣ ــ ١ ــ ١ أن يتصدر (أنا) الجملة الاسمية ثم يفصل الخبر حال المتكلم المفرد واستعمال الأنا للضمير المنفصل بكثرة يدل على الحضور الكلي له مقاما ومقالا على مستوى التخاطب الذي يستوجب حضور كلّ من المتلفظ والمتلفظ المشارك وفي هذا النوع من التعرف ترسل الأنا مفاخرة

(١) ينظر: ريفارا (رينيه)، لغة القصة (مدخل إلى السّرديات التلفظيّة)، ص٤٩.

(٢) نفسه.

(٣) بنفينست (إيميل)، جهاز القول الشكلي، ص٥٥٦.

بنسبها أو سلوكها وهي صورة معهودة في الشعر العربي وذلك على نحو قوله من المنسرح[١]:

أنـا ابـنُ مَـن بـعضُـهُ يَـفُـوقُ أبَـا الـ بـاحِـثِ والـنَّـجـلُ بـعـضُ مـن نَـجَـلَـهْ
أَنـا الَّـذي بَـيَّـنَ الإِلَـهُ بِـهِ الـ أَقـدارَ وَالـمَـرءُ حَـيـثُـمـا جَـعَـلَـه

٣ ـ ١ ـ ٢ قد يكون التعرف في جملة يتصدرها الحرف الناسخ " إنّ" ويأتي ضمير المتكلم المفرد اسما له يتلوه الخبر مقيدا بالشرط. ويشكل هذا الضرب من التعرف صورة تصريح أكيد تكون فيه سلطة الذات الفاعلة أقوى حضورا من الأولى فهو يستعمل صيغ التملك لترسيخ حضوره في ملفوظه والدلالة على ذاتيته وإثبات إنّيته باعتباره ذاتا تتلفظ حاضرة في الخطاب وذلك على نحو قوله من الطويل[٢]:

وَإِنّـي وَإِنْ كـانَ الـدّفـيـنُ حَـبـيـبَـهُ حَـبـيـبٌ إلى قَـلْـبـي حَـبـيـبُ حَـبـيـبـي

٣ ـــ ١ ـــ ٢ ويرد التعرف أيضا في جملة يتصدرها الحرف الناسخ ويكون ضمير التكلم الجمع اسما له ويقترن خبره باللام المزحلقة (لام الابتداء)[٣]وفي هذه الصورة تأكيد لسلطة الذات الفاعلة لاسيما مع أناها المضخمة من خلال اجتماع المؤكدين كما في قوله من الكامل[٤]:

لَـبّـيْـكَ غَـيـظَ الـحـاسِـديـنَ الـرّاتِـبَـا إنّـا لَـنَـخْـبُـرُ مـن يَـدَيْـكَ عَـجَـائِـبَـا

أما المتلفظ المشارك فقد تعرفنا عليه في المنجز الشعري عبر ضمير الخطاب وألفينا ظهوره على الشكل الآتي:

٣ـ ٢ ـ ١ يكون التعرف على المخاطب عبر جملة اسمية يتصدرها الضمير (أنت) والأشكال المتصلة به (كاف الخطاب) ويتلوه الخبر مفصلا لحال المتعرف عليه وفي هذا النوع يصرح المتلفظ بأوصاف

(١) الدّيوان، ص١٨٨.

(٢) السّابق، ص٢١.

(٣) اللام المزحلقة هي لام الابتداء مع التنبّه إلى أنها تسمى مزحلقة إذا اقترنت فقط بخبر إنّ وسبب تأخيرها عن اسم إنّ هو كراهة افتتاح الكلام بمؤكدين (إنّ واللام) . ينظر: جمال الدّين الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه وعلّق عليه: مازن المبارك ومحمد علي، راجعه: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، ط، ص٣٠٤.

(٤) الدّيوان، ص٣٤.

يصف بها مخاطبه وهي تصريحات تتضمن حكم قيمة ومن قبيل هذا التعرف قوله من الطويل[١]:

فَأَنتَ حُسامُ المُلكِ وَاللَهُ ضارِبٌ وَأَنتَ لِواءُ الدّينِ وَاللَهُ عاقِدُ

وَأَنتَ أَبو الهَيجا اِبنُ حَمدانَ يا اِبنَهُ تَشابَهَ مَولودٌ كَريمٌ وَوالِدُ

وقد لفتنا في المدونة اختيار المنشئ لهذا البناء النحوي في تأليف خطابه وتعمده لتمييز وظيفة نحوية يخصها بمزيد عناية فيختار لها رتبة موسومة في البيت تتميز بها بفضل اختياره لترتيب الكلام. وقد تكررت وظيفة الابتداء في البيتين السّابقين وهو تكرار ناشئ "سلطة ذات ترتب العناصر التي تكررها وتنظمها"[٢]فاكتسبت الوظيفة النحوية إضافة إلى معناها الأصلي معنى فرديا خاصا تستمده "مما ينعقد لها من العلاقات"[٣] التي يتخيرها المنشئ فرسم عبر صورة يريد لفت الانتباه إليها عبر الابتداء بها في شطري البيت فجعلها كاللازمة تخبر عن حال مخاطبه فهي الغاية.

كما يتصدر ضمير الخطاب (أنت) جملة اسمية تقع خبرا لـ (لا النافية) كقوله من البسيط[٤]:

وَلا يُعِنّ عَدُوّاً أَنْتَ قاهِرُهُ فإنّهُنّ يَصِدْنَ الصّقرَ بالخَرَبِ

٣ـ ٢ـ ٢ يرد التعرف في جملة يتصدرها حرف ناسخ ويكون ضمير الخطاب اسما له ويتلوه الخبر مفصلا لحال المخاطب وذلك على نحو قوله من الطويل[٥]:

هَنيئاً لِأَهلِ الثَغرِ رَأيُكَ فيهِمِ وَأَنَّكَ حِزبَ اللَهِ صِرتَ لَهُم حِزبا

وَأَنَّكَ رُعتَ الدَهرَ فيها وَرَيبَهُ فَإِن شَكَّ فَليُحدِث بِساحَتِها خَطبا

(١) الدّيوان ، ص٥٩.

(٢) حيزم،(أحمد) ، فن الشعر ورهان اللغة بحث في آليات الخطاب الشعري عند البحتري، دار محمد علي الحامي، تونس، ٢٠٠١، ط١، ص١٧٨.

(٣) نفسه.

(٤) الدّيوان، ص٢٨.

(٥) السّابق ص٢٣.

أو يكون المخاطب (ضمير متصل) خبرا للحرف الناسخ ومن نماذجه قوله من الوافر[١]:

وَإِنَّـهُـمُ عَـبـيـدُكَ حَـيـثُ كـانـوا إذا تَـدعـو لِـحـادِثَـةٍ أَجـابـوا

فالمخاطب يظهر بصورة صريحة وهي تبرز سلطة المنشئ بشكل أقوى من السّابق بفضل استعماله أداة التوكيد (إنّ) بما لا يدع مجالا للشك فيما ترسله الذات المتلفظة من حكم قيمة في ملفوظاتها.

والذي نخلص إليه من هذا هو كيفية انغراس الذات عبر ضميري الحضور (أنا + أنت) في ملفوظها الموجه إلى الآخر وهو ما يفضي بنا إلى الحديث عن علاقة الأول بالثاني.

علاقة المتلفظيْن.

كل خطاب مشدود بعلاقة بين طرفيه فلا يمكن أن تتم عملية قولية إلا بين متلفظيْن، هما المتلفظ والمتلفظ المشارك "يؤدي كل منهما دوره بالتناوب في الوقت الذي يتابع فيه الآخر باهتمام. فالأول يبني ملفوظات لها معنى عند الآخر والذي بدوره يؤول الرسالة الموجهة إليه والتي سيجيب عنها لاحقا"[٢] وبما أن الخطاب "يقتضي متكلما وسامعا وفي نية الأول أن يؤثر في الثاني بطريقة ما"[٣] فهذا يدل على وجود علاقة تواصلية تبدأ بالمتلفظ وتنتهي بالمتلفظ المشارك. فالمتلفظ ينشئ ملفوظاته بناء على "ثلاثة متغيرات سياقية:

أولها: البعد الاجتماعي بين المتكلم والسامع (العلاقة التماثلية Symmetric relation)

وثانيها: علاقة السلطة بينهما (Asymmetric relation)

وأخيرا: القيود التي تفرضها ثقافة معينة على المرسل ونوعية تلك القيود"[٤] ويساهم كل واحد من هذه المتغيرات في تحديد العلاقة بين طرفي الخطاب.

---

(١) الدّيوان، ص ٢٦.

(٢) ينظر: ريفارا (رينيه)، لغة القصة (مدخل إلى السرديات التلفظية)، ص٥٢.

(٣) ينظر: بنفينست (إيميل)، جهاز القول الشكلي، ص٥٥٢.

(٤) ينظر: الشهري (عبدالهادي بن ظافر)، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار كنوز المعرفة، عمّان، ٢٠١٥،ط٢،ص١٥٠.

وهي علاقات تتميز بطابع لغوي تبين مدى تشكل السلطة بين طرفي الخطاب وهي تنتمي إلى ما أسماه بنفينست تعالق الذاتية وفيه يقابل بنفيست بين الضمائر الشخصية " فيجعل الطرف الأول "أنا" مقابلا لـ "أنت" على أنه الشكل الوحيد الذي يعبر عن الذاتية. ويجعل من أنت ضمير " لا أنا" وبذلك سمى "أنا" ضمير شخصي ذاتي و"أنت" ضمير شخصي لا ذاتي".

يقول:" إن ما يميز "أنا" من "أنت" هو في المقام الأول حقيقة أن يكون أنا داخليا بالنسبة إلى القول وخارجيا بالنسبة إلى أنت، ولكنه خارجي على صورة لا تلغي حقيقة الحوار. وفوق ذلك فإن أنا متعال أبدا بالنظر إلى أنت فعندما أخرج من أناي لأعقد صلة حية مع كائن فإني أنصب أنت هو في ما عداني أنا الشخص الوحيد الذي يمكن تخيله"[١]

من خلال مقول بنفينست نستطيع أن نعرف العلاقات الخاصة التي تنظم علاقة أنا بأنت وهما علاقتا المداخلة والتعالي وهما في الأساس يخصان المتلفظ باعتباره الشخص الذاتي وينقلبان في المتلفظ المشارك باعتباره الشخص غير الذاتي.

١ ــ علاقة التعالي.

وتتمثل في كون "أنا" هو" الشخص المتعالي الذي يقابل "أنت" بما أن أنا هو الشخص الذاتي وهو الوحيد الذي بمقدوره فعل ذلك وهو الشخص الأساسي الذي تتعرف الضمائر الأخرى من خلاله"[٢].

وقد تجلّت هذه العلاقة في مظاهر شتّى أهمّها:

١ -أ- الفاعليّة والمفعوليّة.

تنخرط الذات في ملفوظها منعقدة إلى الآخر وهما يتداولان وظيفتي أو حالتي الفاعلية والمفعولية. والمراد بالفاعلية والمفعولية بيان "كون الكلمة عمدة أو فضلة" فالفاعلية "وصف في كل ما هو فاعل"[٣] وهو عندنا وقوع الضمير في محل رفع. ونقصد بالمفعولية وقوع الضمير" منصوبا على

(١) بنفينست (إيميل)، جهاز القول الشكلي، ص٥٤٢.

(٢) القاموس الموسوعي للتداولية، ص٤٥٩.

(٣) معجم المعاني، نسخة إلكترونية.

المفعولية"[١].

وقد رأينا في المنجز الشعري أن الأنا تأخذ موقع الفاعلية في (١٢٠٥) بيتا أي ما نسبته ٦٤٪ بينما تشكل الأنا في موقع المفعوليّة (٩٤٦) بيتا وبنسبة ٥٠٪.

وتجعل الذات المتلفظة مخاطَبها في موقع المفعولية بنسبة ٦٥٪ (١٠٨٨) بيتا وتجعله في موقع الفاعلية في (٩٦٠) بيتا أي ٥٨٪ ويشكل نصيب منها ما يكون في حالات انشطار الذات التي يكون فيها المخاطب جزءا من الأنا ذاته.

ففي قوله من الكامل[٢]:

عَهدي بِمَعرَكَةِ الأَميرِ وَخَيلُهُ ... في النَقعِ مُحجِمَةٌ عَنِ الإِحجامِ

يا سَيفَ دَولَةِ هاشِمٍ مَن رامَ أَن ... يَلقى مَنالَكَ رامَ غَيرَ مَرامِ

صَلّى الإِلَهُ عَلَيكَ غَيرَ مُوَدَّعٍ ... وَسَقى ثَرى أَبَوَيكَ صَوبَ غَمامِ

وَكَساكَ ثَوبَ مَهابَةٍ مِن عِندِهِ ... وَأَراكَ وَجهَ شَقيقِكَ القَمقامِ

يستغل المتّلفظ تعداد فضائل ممدوحه فيعمد إلى جعل مشاركِه في موقع المفعوليّة لينفرد هو بموضع الفاعليّة لإبراز سلطته في الخطاب عبر ضمير الأنا في "عهدي" السّابق لـ أنت.

أما ورود المتلفظ المشارك في موقع الفاعليّة فمن شواهد ذلك قوله من المتقارب[٣]:

كَأَنَّ نَوالَكَ بَعضُ القَضاءِ ... فَما تُعطِ مِنهُ نَجِدهُ جُدودا

وَرُبَّتَما حَمَلَةٍ في الوَغى ... رَدَدتَ بِها الذُبَّلَ السُمرَ سودا

وَهَولٍ كَشَفتَ وَنَصلٍ قَصَفتَ ... وَرُمحٍ تَرَكتَ مُباداً مُبيدا

وَمالٍ وَهَبتَ بِلا مَوعِدٍ ... وَقِرنٍ سَبَقتَ إِلَيهِ الوَعيدا

تسعى الذّات المتّلفظة، أحيانًا، كما في الأبيات السّابقة، إلى الإبانة عن سلطتها المتعالية في

(١) نفسه. (معجم المعاني).

(٢) الدّيوان، ص٢١١.

(٣) الدّيوان، ص٧١.

خطابها عبر تنصيب الآخر الممدوح فاعلًا وفي مثل هذه الحالة تلجأ الأنا إلى تفخيم ذاتها عبر ضمير الجمع أو تكتفي بضمير الخطاب فقط ذلك أن كل ملفوظ هو خطاب صادر من ذات متعهدة به وهي صاحبة السلطة فيه.

هكذا بدت الذات المتلفظة في ملفوظها وقد تبوأت مواطن القوة وإذا كانت ضمائر الفاعلية تدل على أن المتلفظ هو صاحب السلطة الفاعلة في الخطاب فإن ضمائر المفعولية تبرز خضوع المخاطب تحت سلطة أخرى هي سلطة الذات المتلفظة وتعبر ضمائر المفعولية عن لحظات الضعف والعجز التي تسيطر على المخاطب.

١ ـ ب ـ التعالي المطلق وهذا النوع لا يخص مخاطبا معينا وإنما يكون شاملا لكل من يمكن أن يقع أو ينطبق عليه ضمير (أنت)ومن أمثلة ذلك قوله من البسيط[١]:

أَنَا الذي نَظَرَ الأَعْمَى إلى أَدَبِي ... وَأَسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ.

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا ... وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيخْتَصِمُ.

وَجاهِلٍ مَدّهُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي ... حَتى أَتَتْه يَدٌ فَرّاسَةٌ وَفَمُ

وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بينَ الجَحْفَلَينِ بهِ ... حتى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ.

الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُنِي ... وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ.

صَحِبْتُ فِي الفَلَواتِ الوَحشَ منفَرِداً ... حتى تَعَجّبَ مني القُورُ وَالأَكَمُ.

فالمتلفظ وهو في داخل ملافيظه التي أجراها بضمير التكلم المفرد ليس أمامه إلا تنصيب المتلفظ المشارك "أنت" شخصا يمكن تخيله وعقد علاقة التعالي معه ومثل ذلك مجيء" نحن" الدالة على الأنا المضخمة.

(١) الدّيوان، ص٢٠٣-٢٠٥.

١. ب ـ التعالي المقيد وفيه يكون تعالي المتلفظ تعاليا خاصا بمخاطب معين ومن نماذج ذلك قوله من الطويل[١] :

وَلَـيْـتَـكَ تَـرْعـانِي وَحَـيـرَانُ مُـعـرِضٌ فـتَـعْـلَـمَ أَنّـي مـن حُسـامِـكَ حَـدّهُ
وَأَنّـي إذا بـاشَـرْتُ أمـراً أُريـدُهُ تَـدانَـتْ أقـاصِـيـهِ وَهَـانَ أَشَـدُّهُ
وَمَـا زَالَ أهـلُ الـدّهـرِ يَشْـتَـبِـهـونَ لـي إلَـيْـكَ فَـلَـمّـا لُـحْـتَ لـي لاحَ فَـرْدُهُ
فكنْ في اصْـطِـناعي مُحسِـنـاً كمُجرِّبٍ يَـبِـنْ لَـكَ تَـقـرِيـبُ الـجَـوَادِ وَشَـدُّهُ

في هذه الأبيات التي يمدح فيها الشاعر كافور الإخشيدي تشد الأنا إلى الآخر علاقة تعال خاصّة بمخاطَب معيّن. ويبرز ذلك من خلال ظهور ضمير المتكلم إلى جانب ضمير المخاطب المحدد وعلامة تحديده تظهر في كاف الخطاب إلى جانب ضمير أنت الذي يحمله فعل الأمر (فكن).

تلك هي تمظهرات الذات المتكلمة في علاقتها مع الآخر الذي تنوي التأثير فيه. وقد شكّلت علاقة التعالي المطلق ما نسبته ٧٠٪ من مجموع العلاقات التي تربط المتلفظ بمخاطبه فبدت لنا جليا رغبة الأنا المنشئة في استغلال علاقة التعالي المطلق استغلالا يكشف لنا عن ثبوت سمة التعالي عند المتنبي بوصفها سلوكا ذاتيا قارّا مهما كان الطرف الآخر.

ولئن كانت نزعة التعالي هي الغالبة على خطاب الذات، فإنها ليست الوحيدة وإنما تنضم إليها علاقة أخرى.

٢-ج التداخل أو التوافق.

وتشكلها غالبا الوحدة اللسانية " نحن". ويقوم لجوء المتلفظ إلى استعمالها دليلا على رغبته في حضور الآخر أو استحضاره فيغدو شريكا في فعل التلفظ وليس بصفته مخاطبا. وفي هذا إشارة إلى علاقة توافقية يريد المتلفظ عقدها مع المتلفظ المشارك فيضمّنه معه في كائن لغوي يكون علامة بارزة على تملك جهاز اللغة الشكلي فيعرب عن موقعهما متكلميْن.

(١) السّابق، ص٧٨.

وتخص هذا العلاقة "نحن" الانضمامية[١] التي تتكون من (أنا +أنت) وهي أقل بكثير من العلاقة السّابقة.

ومن شواهد العلاقة التوافقية في مدونتنا قوله من الوافر[٢]:

أَلَم يَكُ بَينَنا بَلَدٌ بَعيدٌ فَصَيَّرَ طولَهُ عَرضَ النِجادِ
وَأَبعَدَ بُعدَنا بُعدَ التَداني وَقَرَّبَ قُربَنا قُربَ البِعادِ

وقوله من الخفيف[٣]:

وَلِقَطْعِي بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْهَا فَكِلَانَا لِجِنْسِهِ الْيَوْمَ غَازِي

كما ترد العلاقة التوافقية ويحضر فيها ضميرا التكلم على نحو قوله من الكامل[٤]:

إِنّي أَراكَ مِنَ المَكارِمِ عَسكَراً في عَسكَرٍ وَمِنَ المَعالي مَعدِنا
فَطِنَ الفُؤادُ لِما أَتَيتُ عَلى النَوى وَلِما تَرَكتُ مَخافَةً أَن تَفطُنا
أَضحى فِراقُكَ لي عَلَيهِ عُقوبَةً لَيسَ الَّذي قاسَيتُ مِنهُ هَيِّنا
فَاغفِر فِدىً لَكَ وَاحبُني مِن بَعدِها لِتَخُصَّني بِعَطِيَّةٍ مِنها أَنا

تلك أهم العلاقات التي سعت الذات المتلفظة إلى إقامتها مع المتلفظ المشارك.

وقد توصلنّا من خلال هذا المبحث إلى الآتي:

١- لا يوجد ملفوظ في مأمن من سلطة الذات فالخطاب في معظمه ذاتّي وتدل على ذلك أشكال لسّانيّة كثيرة من بينها الضمير.

٢- أنّ الضمير أبرز العلامات اللسّانيّة التي يتوسل بها المتلفظ (المتنبي) للدّلالة على ذّاتيّة في خطابه وأن تعالق الذاتيّة يخصّ الضمائر الشخصيّة فقط.

(١) سبق وأن تبينا معنى "نحن" الانضمامية في الحديث عن هيئات ورود ضمير المتكلم.

(٢) الدّيوان ، ص٦٩.

(٣) السّابق، ص١٠٨.

(٤) السّابق، ص٢٤٥.

٣- أن الضمائر وحدات لغويّة مبهمة لا يتعيّن مرجعها إلا بواسطة الخطاب.

٤- أنّ تنوع ضمير الشخص الأول (المتكلم) بين الإفراد والجمع هو انعكاس لتوزّع الذّوات المتلفظة في الخطاب.

٥- يبرز المنجز الشعري رغبة المتلفّظ في تصوير ذاته بوصفه صاحب سلطة وهو ما يشكل علاقته بالآخر. وهي علاقة تشكل نمطين أوّلهما التعالي، وهو الغالب في المدوّنة، وثانيهما التوافق.

غير أنّ الضمائر وإن كانت مركز إضاءة الذّاتيّة في الخطاب فإنها ليست العلامة الوحيدة وإنما تشاركها قرائن ذاتيّة أخرى من بينها المشيرات الفضائيّة والزّمانيّة.

المبحث الثاني

المشيرات الفضائيّة والزّمانيّة

يتوسع مجال الذّاتيّة في اللغة ليشمل الإحداثيّات الزّمكانيّة(Coordonnées spatio – temporalis) بوصفهما قرينتين تحيلان على مقام التّلفظ. وسنبدأ بالمشيرات الزّمانيّة مراعاة للترتيب الذي أورده بنفينست في مقاله حول الذاتية في اللغة[١]

وقد نظرنا في ما سبقنا من دراسات تناولت الزمان في المدونة نفسها، فألفيناها تتناول صنائع الزمن في المتنبي ومواقفه منه أراد الدارس من خلالها التأكيد على أن الزمن ظاهرة أدبية تستكشف ملامح الفكر الإنساني[٢]. وبهذه النتيجة فإن تلك الدراسة وما نهج نهجها تختلف عن كيفية المعالجة في عملنا وبالتالي لا تتقاطع معها، فدراستنا تتناول الزمان كمشير دال على عملية تلفظية.

١ - المشيرات الزّمانيّة.

١ - أ الإطار النظري.

يُقصد بها "وحدات لفظيّة تدل على فتراتٍ زمنيّةٍ متعددة تضع الحدث في مدار الزمن بالنسبة إلى لحظة زمنية معينة مأخوذة كمرجع»[٣]

والنظر في الزمن مسألة نالت حظا من اهتمام أهل اللغة فأطلقوا عليها ظروف الزمان وسميّت ظروفًا «لأنها أوعيّة لما يجعل فيها»[٤].

وقد اهتّمت اللسّانيات عامّة ولسانيات التلفظ بوجه خاص بدراسة مقولة الزّمن الذي هو "حقيقةٌ كائنة خارج اللغة"[٥]وحاولت تقديم تصوّرٍ واضحٍ لها يُنطلق فيه من بيان الإحالات الدلالية للزمن،

---

(١) بنفينست (إيميل)، جهاز القول الشكلي،

(٢) مطلك (حيدر لازم)، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي،دار صفاء، ٢٠١٠.

(٣) أوريكوني. فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧، ص٧٣.

(٤) السامرائي (فاضل صالح)، معاني النحو، ج٢، دار الفكرللطباعة والنشر، الأردن، ١٤٢٠، ط١، ص١٧٧.

(٥) ريفارا (رينيه)، لغة القصة (مدخل إلى السّرديات التلفظيّة) ، ص ٦٧.

ذلك أن «جميع الألسنة تميّز أزمنة مختلفة»[١] هي الماضي والحاضر والمستقبل. وتوصلت إلى نتيجةٍ مفادها أن القاسم المشترك بين جميع اللغات هو«تبّين مركزيّة موقع الحاضر»[٢] والحقيقة أن هذا الحاضر هو «منبع الزمان»[٣]. وتؤدي لحظة التّلفظ في زمن الحاضر "دور واصل بين ما هو سابق وما هو لاحق"[٤]

إنّ الحاضر في العالم هو الزمن الوحيد من بين الأزمنة اللغوية القادر على «جعل عمل القول ممكنًا»[٥] وليس بمقدور أي إنسان «تحيين الزمن الحاضر إلا من خلال إدخاله في الخطاب»[٦]

ولتوضيح هذه النظرة اتخذت لسانيات التلفظ " محورا للزمن نحو اليمين ويكون مجزأ إلى ثلاث فترات هي الماضي والحاضر والمستقبل"[٧] كما هو موضح في الخطاطة التالية:

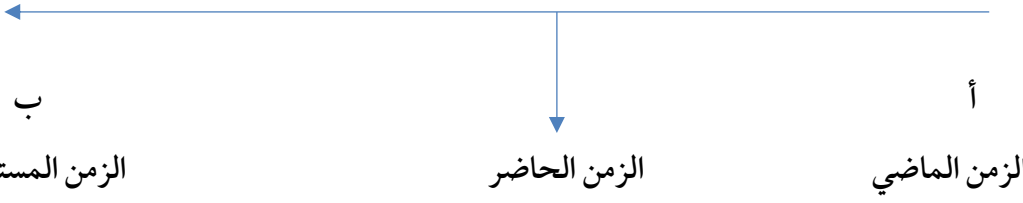

يشير السهم الأفقي إلى خط الزمن المتواصل بحيث (أ) تشير إلى نقطة انطلاق الزمن وتشير (ب) إلى اتجاه الزمن. ويشير السهم العمودي إلى الزمن الحاضر الذي به يتحدد الماضي والمستقبل لأنه لا يمكن ضبط الزمن الماضي والمستقبل بشكل نهائي ودقيق. فالزمن الوحيد الذي نستطيع ضبطه وتحديده هو زمن التلفظ وهو الزمن الحاضر أما البقية وهما (الماضي والمستقبل) فيحددان حسب

(١) ينظر: بنفينست(إميل) ، جهاز القول الشكلي، ص٥٥٤.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) ريفارا (رينيه) ، لغة القصة (مدخل إلى السّرديات التلفظيّة) ، ص٦٧-٦٨.

(٥) بنفينست(إميل) ، جهاز القول الشكلي، ص٥٥٤.

(٦) ينظر: نفسه.

(٧) ريفارا (رينيه) ، لغة القصة (مدخل إلى السّرديات التلفظيّة) ، ص ٦٨.

لحظة التلفظ. بمعنى أن الماضي لا يوجد في نقطة واحدة وإنما يتحرك كثيرا بحسب لحظة التلفظ. فمثلا الحديث الذي كنت أتحدث به قبل دقيقة من الآن يعد زمنا ماضيا. وعلى هذا فإن ما سنقوله بعد لحظة التلفظ الآنية يشكل الزمن المستقبل.

وقد شدّد ريفارا (Rivara, R) على وجوب الحذر من أن «يفهم الأسلوب الخطّي لمحور الزمن[...] على أنّه تمثيلٌ للزمن الحقيقي (الكائن خارج اللغة) بل هو تمثيل لتمثّلنا الذهني له. ففي هذا الميدان [ميدان التّلفظ] لا تبنى الملفوظات انطلاقًا من عالم حقيقي لا يمكننا بأي حال النفاذ إليه ولكن انطلاقًا من التمثيلات التي لنا عنه»(١)

وقد قسّمت اللسانيات، من منظور بنفينست، الزمن، من خلال علاقته بالمتكلم، إلى ثلاثة أقسام، هي:

١ – «الزمن الطبيعي: يحس به الإنسان ويدركه في حياته، يختلف انقضاؤه من بيئة لأخرى ومن مجتمع لآخر. يمتاز هذا الزمن عن غيره من الأزمنة باللانهائية والخطيّة بمعنى الاستمراريّة.

٢ – الزمن التاريخي: يمثل الإنسان جزءًا لا يتجزأ من البيئة التي ينتمي إليها. وما دام كائنًا حيّا تنتابه مجموعة من الأحداث يستطيع من خلالها أن يؤرخ لحياته من البداية وحتى النّهاية أو العكس وذلك عن طريق الذّاكرة لتأليف ما يدعى بالسّيرة الذّاتيّة.

٣ – زمن الحدث: ويسمّيه تودوروف زمن الخطاب. ويعني البحث عن تمثيليّة الزّمن في ارتباطه في لحظة التّلفظ. يتجلى زمن الحدث في الحاضر الذي يشكل مرجعيّته، أما الماضي والمستقبل فمتعلقان به ويتحددان بالإحالة الدّاخليّة بين ما كان وما سيكون. ففي كل مرة يستعمل المتكلم الحاضر اللغوي (الصيغة النحويّة الدّالة على الحاضر) فإنّ ذلك ليس إلا إظهارًا للحاضر الملازم للقول»(٢).

من الواضح إذن أن الزمن التاريخي عند بنفينست يعبر عن الزمن الماضي. أما زمن الحدث

---

(١) ريفارا (رينيه)، لغة القصة (مدخل إلى السّرديات التلفظيّة)، ص ٦٨.

(٢) ينظر: إيميل بنفينست، جهاز القول الشكلي، ص٥٥٤. وترجمة: ذهبية (حمود الحاج)، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، د. ت، ط٢، ص ١١٦.

(التلفظ) فيمكن وقوعه في أي فترة من الزمن التاريخي ويعني ذلك أن يكون زمن التاريخ متجهًا إلى الوراء وزمن التلفظ إلى الأمام كما في الخطاطة التاليّة[١]:

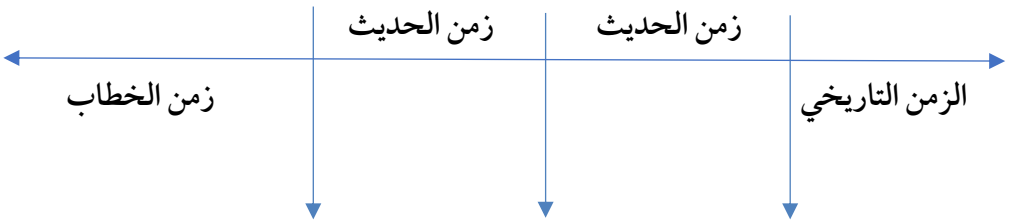

جعلت السهم في اتجاهين وأعني بذلك أن يشير السهم المتجهة لليمين بأنه الزمن التاريخي أي الزمن الماضي المنقضي بينما يشير السهم المتجهة لليسار إلى زمن الخطاب الدال على لحظة التلفظ الحاضرة وهي تسير إلى الأمام حسب اتجاه الزمن.

وهكذا تتخذ لسانيّات التّلفظ الزمن الحاضر مصدرًا يحيّن عملية التلفظ، وانطلاقًا من هذا المصدر «تُبنى قيم إحاليّة تُظهر ملفوظاتها البصمات في شكل مشيرات زمانيّة ذات نمطين:

١ – نمط مشيري مثل قولنا: حققتُ (**الآن**) التّفوق. فالعملية في علاقة بزمن التّلفظ.

٢ – سياقيّة» [٢] أي ترصد حسب ورودها في السياق قياسًا إلى لحظة التلفظ ومثال ذلك قولنا: تعيّنت سنة ١٤٣٣هـ الموافق لـ ٢٠١٢م.

أما ك. ب. أوركيوني، فقد أضافت إلى التقسيم الثلاثي للزمن (الماضي/ الحاضر/ المستقبل) في مقترحها للمشيرات الزّمانيّة قسمًا رابعًا سمته «المشيرات الزمنية المحايدة (Neutre) وسميّت بذلك لأنها تخرج عن المشيرات المحدّدة بسبب اختلافها عنها والزمن المحايد لا يكتسب تحديده إلا من

(١) استفادت الباحثة في رسم الخطاطة كما هي في: ذهيبة(حمود الحاج) ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، د. ت، ط٢، ص ١١٧.

(٢) ريفارا (رينيه) ، لغة القصة (مدخل إلى السرديات التلفظية) ، ص٧٣.

الوضعيّة التي يتخيرها له المتلفظ»[١] ويوضح الجدول الآتي الزمن حسب تصنيف أوركيوني:

	المشيرات المحددة مقاميا	المشيرات المحددة سياقيا	المشيرات الزمنية المحايدة
التّزامنيّة	الآن	في ذلك الوقت، آنذاك	وحدات الزمن التي يكون زمنها غير محدّد مقاميا أو سياقيا
القبليّة	الأمس، الأسبوع الماضي، قبل قليل، منذ ساعة	في ذلك اليوم، بعد مرور أسبوع	
البعديّة	غدًا، في الأيام المقبلة، السّنة القادمة	بعد يومين، في اليوم الموالي	

يبين لنا الجدول السابق أن المشيرات التزامنية هي الوحدات اللسانية التي تدل على لحظة التلفظ وتدل المشيرات القبلية على ما كان قبل لحظة التلفظ وتفيد المشيرات البعدية على ما سيكون بعد لحظة التلفظ الحاضرة. ومجموع المشيرات الثلاثة (قبلي وآني وبعدي) تحدد بالنسبة إلى المقام التلفظي فإن الزمن المحايد وهو القسم الرابع الذي أضافته أوريكيوني هو الزمن الذي لا يحدد مقاميا فهو لا يشير إلى لحظة التلفظ ولا هو زمن يحدد سياقيا وإنما هو عبارة عن زمن مطلق. ومن أمثلته قول الرسول ﷺ:" إن من الشعر حكمة"[٢]

ومما يجدر التنبيه إليه في هذا المجال أنّ الزمن اللغوي الذي يتعلق بصيغة الفعل النّحوية والصّرفيّة وتراكيبهما ليس مجاله تحليل الخطاب وإنما ذاك شأن يهم النّحاة[٣]. أمّا اللسانيّات التّلفّظيّة

(١) ينظر: ذهيبة (حمو الحاج)، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، المدينة الجديدة، الجزائر، د. ت، ط٢، ص ١١٧.

(٢) موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، راجعة: صالح بن عبد العزيز آل شيخ، دار السلام، السعودية، الرياض، ١٤٢٠، ص٣٦٢.

(٣) للمزيد حول الفرق بين الزّمن النّحوي والزّمن الصّرفي ينظرمثلا: تمّام حسّان، اللغة العربيّة مبناها ومعناها، منشورات المكتبة العصريّة، بيروت، ١٩٦٤، ط ١، ص١٤٥.

فبغيتها زمن التلفظ وهو الزمن اللغوي المرتبط بالعملية التخاطبيّة.[١]

من خلال ما سبق نستنتج أن لسانيّات التّلفظ تنطلق من فكرة أساسيّة عمادها مركزيّة لحظة التلفظ الآنيّة ويرصد السّابق واللاحق قياسًا إليها. وعلى ذلك فقد صحّت مقولة بنفينست أن الحاضر «منبع الزمان»[٢] إذ تواكبه الأزمنة الماضية والمستقبلية دون الرجوع إليها حقيقة.

وجملة هذه المشيرات الزّمانيّة، على اختلاف التسميّات، تحيل إلى أبنيّة زمنيّة متعددة حسب السّياق الذي ترد فيه. وهي وحدات لسّانيّة لا يمكن لمرجعها أن يكون محدّدا إلا بواسطة عونيْ التّلفظ.

ولـمّا كان الخطاب الشّفوي يجمع المتخاطِبَيْن في إطار زمنّي واحد أصبح من اليسير تحديد المرجع الزمني بالنسبة إلى المخاطب إذ يستنبطه بشكل مباشر من المقام الذي يتشارك فيه حضور طرفي التّلفّظ على حدٍ سواء.

أمّا الخطابات الكتّابيّة فتنعدم فيها المواجهة المباشرة بين المتّلفظ ومخاطَبَه فلا يلفهما إطار زمنّي واحد وهذا ما يدفع الأول إلى إفادة الثاني بقرائن لسانيّة تمكّنه من التعرف على زمن الخطاب فمن "أجل تحديد مرجع الأدوات الإشاريّة الزّمانيّة، وتأويل الخطاب تأويلًا صحيحًا، يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التّلفّظ فيتّخذها مرجعًا يحيل عليه ويؤوّل مكونات التّلفّظ اللغويّة بناء على معرفتها"[٣]

إنّ لحظة التّلفّظ تشكّل أساسًا مرجعيًّا تقاس إليها بقيّة الأزمنة ومع ذلك يصعُب تحديدها في الخطاب الكتابيّ. فعلى سبيل المثال لو وُضعت لافتةٌ على باب مكتب المدير مكتوب فيها الملفوظ التّالي:

١- **ـ سنعود بعد ساعتين**[٤].

فليس بوسع المتلفظ المشارك التنبؤ بالوقت المحدد الذي سيعود فيه المتّلفّظ بشكل دقيق فالملفوظ غير مؤقّت. والمخاطَب يلزمه معرفة لحظة التّلفّظ حتى يستطيع أن يبني توقعه عليها فمن

(١) ومن مسمياته أيضا زمن الخطاب أو الزمن النصي.

(٢) بنفينست (إيميل) ، جهاز القول الشّكلي، ص٥٥٤.

(٣) الشهري (عبدالهادي بن ظافر) ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ج: ١، ص١٢٦.

(٤) استفادت الباحثة في تحليل الأمثلة المتعلقة بمرجعية التلفظ من المرجع السابق بأمثلة شبيهة بها، نفسه.

الممكن أن تكون الملفوظات السّابقة قد حدثت قبل ساعة أو أكثر أو أقل. إنّها ملفوظات لا تحمل أي مرجع زمني يساعد على تحديد زمن العودة.

وقد يوظّف المتّلفّظ مشـيرات زمانيّة تحيل على لحظة التّلفّظ ومع ذلك يبقى تحديدها أمرًا في غاية الصّعوبة. ولبيان ذلك سنطرح مثالا:

ـ أنا سعيدةٌ الآن

يحيل المشـير الزّماني (**الآن**)على لحظة التّلفّظ. ورغم ذلك فإنه من العسـير تحديد هذه اللحظة بدقة فقد تمتد لبضع أيام أو سنوات وقد تكتفي في إحالتها على لحظة التّلفّظ بالملفوظ فقط.

في الملفوظين السّـابقين يغيب المرجع الذي يحيل عليه المشـيران (سـاعتين / الآن) فليس في المثالين تاريخ يستدل به على المرجع ولا زمن التّلفّظ كتابيّا مشار إليه.

ولمعالجة هذا الأمر سنعتمد، في هذا البحث، وقت القراءة بوصفه زمن إلقاء القول مرجعًا يحيل على لحظة التّلفّظ الآنيّة بصفة تلقائيّة مع اختلاف الأزمنة.

١ - ب التطبيق

باسـتقراء المنجز الشـعري وجدنا جملة من الإشـاريّات الزّمانيّة تحيل على المقام التّلفّظي في ما ينقله المتلفظ إلى شريكه. وهو في ما يخبر به متخير زمنية خطابه ذلك أن الزمن عنده" قيمة نصانية يبلغ مداها مدى الإضافة التي تلحق هويتها الأولى خارج النص"[١]

وما يهمنا في هذا الصـدد هو تعامل الذات المتلفظة مع المشـيرات الزمانية كمّا وكيفا. ونقصـد بالكمّ الإشـارة إلى نسـبة ورود الزمن في الديوان بينما يتعلق الكيف بطريقة تنوعها بين الإطلاق والاستمرار والتقييد، انطلاقا من كون الزمن اللساني ذا إحالة ذاتية وفي ما يلي تفصيل ذلك:

١ – الزمن غير المحدد (المحايد).

١ – ١ الزمن المطلق.

ونقصـد به الوحدات اللسّـانيّة التي تدل على أن الكلام صـالح لكل زمان ومكان. فالحضـور فيها

(١) حيزم (أحمد)، من شعرية اللغة إلى شعرية الذات، ص١٤٢.

حضور أبدي فلا نجد في الخطاب قرائن نصية تحدد زمن التلفظ (سابق/ آني/ لاحق). وتقابلنا أصداء هذا الزمن في أبيات الحكمة التي تشكل أغلب أبيات المدونة ومن شواهد ذلك قوله من الوافر(١):

إذا غـامَـرتَ في شَـرَفٍ مَـرومٍ فَـلا تَـقـنَـع بِـمـا دونَ الـنُـجـومِ
فَـطَـعـمُ الـمَـوتِ في أَمـرٍ صَـغـيـرٍ كَـطَـعـمِ الـمَـوتِ في أَمـرٍ عَـظـيـم

وقوله من الكامل(٢):

إِنّـي لَأَعـلَـمُ وَالـلَـبـيـبُ خَـبـيـرُ أَنَّ الـحَـيـاةَ وَإِن حَـرَصـتَ غُـرورُ
وَرَأَيـتُ كُـلّاً مـا يُـعَـلِّـلُ نَـفسَـهُ بِـتَـعِـلَّـةٍ وَإِلـى الـفَـنـاءِ يَصـيـرُ

فالأنا المتلفظة لاتحرص على تنزيل تجربتها الذاتية في أبيات الحكمة ضـمن إطار زماني محدد وإنما تتوسل بالزمن المطلق فلا نجد في النموذجين وغيرهما مما هو في حكمهما مؤشرات لسانية تدل على زمن محدد (ماضي أو آني أو مستقبل) في تجربة الذات المتلفظة بل هي ذات تريد هدم أي معطى مرجعي زماني لتتشكل في الملفوظ "أنا" تسعى إلى تنصيب نفسها ذاتا حكيمة تجري الحكمة في ما تتلفظ به من خطاب.

١ - ٢ الزمن المستمر

ونقصد به وحدات لغوية تعني استمرارية الحدث في الخطاب وذلك نحو قولنا: أبدا/ الزمان/ في كل يوم/ الأوقات/ الليل/ الضحى...

ومن نماذج ذلك قوله من الخفيف(٣):

أَبَـداً أَقـطَـعُ الـبِـلادَ وَنَـجـمـي في نُـحـوسٍ وَهِـمَّـتـي في سُـعـودِ

(١) الديوان، ص٢٢٩.

(٢) السابق، ص٩٨.

(٣) السابق، ص٦٤.

وقوله من البسيط[١]:

لـم أُجْـرِ غـايَـةَ فكـري منـكَ في صِـــفَـةٍ إلاّ وَجَـدْتُ مَـداهـا غـايـةَ الأبـدِ

ومن الكامل[٢]:

أَعـطـى الـزَمـانُ فَـمـا قَـبِـلـتُ عَـطـائَـهُ وَأَرادَ لـي فَـأَرَدتُ أَن أَتَـخَـيَّـرا

فالذات المتلفظة تعلن في صـدر ملفوظها بأنها ذات تعلو أفعالها حدود الزمن فهي مستمرة في الحدثان دون تقييد أو تعيين. ولهذا نجد المتلفظ يستعين بمشيرات زمنية تفيد الاستمرار وخاصة لفظ الأبدية (أبدا) ولجوء الأنا إلى استعمال هذا النوع من المحددات الزمانية مشدود برغبة الذات في ترسيخ تجربته الفردية في ذهن المخاطب. فهي ذات متفائلة ساعية دأبت على مواصلة عملها فتجوب البلاد شرقا وغربا لا تأبه بما يعترضها من معوقات وتستمر الذات في سرد تجاربها فلا تقبل من عطاءات الزمن إلا ما تختاره الذات لنفسها.

٢ – الزمن المحدد

٢ – ١ الزمن الحاضر ويقصد به لحظة التلفظ وتحتل الجزء الأكبر مشكِّلة نسبة ٩٠٪ من الزمن المحدد في المدونة وترد بوحدات لسانية كثيرة أشهرها في خطاب المتنبي: اليوم/ الآن

وقد بينت لنا معايشة نصوص المدونة ميل المتلفظ إلى إجراء ملفوظاته في الزمن الحاضر مما يعني أن تذويت الذات في خطابها تبعه اهتمام بلحظة التلفظ فبدا لنا جليا حرص المتلفظ على توثيق زمن القول بمياسم ذاتية والإشارة إليها باسم إشارة أو التصريح بآنية التلفظ. إنها اللحظة المركزية التي تنقل إلى شريكه في الخطاب تجربته الذاتية فهو يعيش حاضره دون غيره لذا يحيل عليه بزمن "يتسامى عن الخطاب"[٣]

(١) الديوان، ص٦٩.

(٢) السابق، ص١٠٦.

(٣) كوهن (جان)، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ـ المغرب، ٢٠١٤، ط٢، ص١٥٣.

ومن شواهد ذلك قوله من البسيط[١]:

ظُلمٌ لذا اليَوْمِ وَصْفٌ قبلَ رُؤيَتِهِ لا يصْدُقُ الوَصْفُ حتى يَصْدُقَ النظرُ

وقوله من البسيط[٢]:

أُريدُ مِن زَمَني ذا أَن يُبَلِّغَني ما لَيسَ يَبلُغُهُ مِن نَفسِهِ الزَمَنُ

نستشف من النماذج السابقة كيف اعتنى المتلفظ بالزمن الحاضر فقوله: (لذا اليوم/ زمني ذا) وكلها معينات زمنية تدل على اللحظة التي يتلفظ بها منشئ الخطاب وهو يحكي قصة الذات لذا وجدناه حريصا على توثيق زمن التلفظ بملفوظات تزامنية ولمزيد عنايته بتلك اللحظة استعان المتلفظ باسم الإشارة ذا الدال على القرب. والعملية التخاطبية تقتضي حضور الطرفين (أنا وأنت) لذا رأينا المتلفظ يستحضر مخاطبه في لحظة التلفظ الآنية فنراه يقول من الطويل[٣]:

فَذا اليَومُ في الأَيّامِ مِثلُكَ في الوَرى كَما كُنتَ فيهِم أَوحَداً كانَ أَوحَدَ

هُوَ الجَدُّ حَتّى تَفضُلَ العَينُ أُختَها وَحَتّى يَصيرَ اليَومُ لِليَومِ سَيِّدا

وقوله من البسيط:[٤]

ما شَيَّدَ اللَهُ مِن مَجدٍ لِسالِفِهِم إِلّا وَنَحنُ نَراهُ فيهِمِ الآن

فقوله (فذا اليوم / الآن) مشيرات زمنية تزامن لحظة التلفظ في ما ينقله الأول للثاني. ٢ - ٢ الزمن الماضي ويشار إليه في الخطاب عبر مؤشرات زمانية تدل على انقضاء الحدث من قبيل: أمس/ قبل / في الماضي...

وهذا النوع يلي سابقه من حيث الكم في الديوان فقد ورد (١٦) مرة بنسبة ٦٪ ولجوء الشاعر إلى الزمن الماضي في خطابه إنما هو مجرد ذكرى افتراضية عابرة لاسيما وأنه متعلق بما يخبرنا به عن

(١) الديوان، ص٩٢.

(٢) السابق، ص٢٥٠.

(٣) السابق، ص٦١.

(٤) السابق، ص٢٤٨.

شريكه سواء كان بضمير الخطاب أو الغيبة لذا تستغل الذات الماضي لـ " قدرته على التعبير عن ثبوت الأشياء وحصولها في الوجود حصولا متأكدا"[١] في الزمن السابق القريب. وليس توسل الشاعر بالزمن الماضي غاية في ذاته وإنما لإبراز ذاته كصاحب سلطة وقادر على استحضار شريكه في الخطاب

ومن شواهد ذلك قوله من المنسرح[٢]:

وأنّكَ بالأمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا شَيْخَ مَعَدٍّ وَأنْتَ أمْرَدُهَا

وقوله من الكامل[٣]:

سَمِعَ اِبنُ عَمَّتِه بِهِ وَبِحالِهِ فَنَجا يُهَرولُ مِنكَ أَمسِ مَهولا

٢ -٣ الزمن المستقبل وهو الزمن المعبر عنه في خطاب الذات من خلال وحدات لغوية تدل على اللاحقية بالنسبة إلى زمن التلفظ.

وهذا النوع هو أقل الأنواع ورودا في منجز المتنبي الشعري فقد ورد (١٤) مرة ورغم ندرته فإن الذات المتلفظة تقصر استعماله على نفسها أو مخاطبها الممدوح والذي غالبا ما يكون مصاحبا له. ويُستثمر التعبير باللاحقية إذا تعلق الأمر بالمعارك الحربية والتخطيط لها بحنكة لتثبت اتصاف الأنا بصفات الفروسية والشجاعة في ميدان القتال. هكذا تستشرف الذات مستقبلها البطولي في ما هو لاحق للحظة إلقاء القول وترسمه وكأنه حقيقة.

ومما يدل على ذلك قوله من البسيط[٤]:

مَن لَو رَآنِيَ ماءً ماتَ مِن ظَمَأٍ وَلَو مَثَلتُ لَهُ في النَومِ لَم يَنَمِ

ميعادُ كُلِّ رَقيقِ الشَفرَتَينِ غَداً وَمَن عَصى مِن مُلوكِ العُربِ وَالعَجَمِ

(١) الجطلاوي (الهادي) ، قضايا اللغة في كتب التفسير، دار محمد علي الحامي، الجمهورية التونسية،١٩٩٨، ط١،ص٥١٥.

(٢) الديوان، ص٦٣.

(٣) السابق، ص١٨٤.

(٤) السابق، ص٢١٦.

٢ -٤ الزمن المبهم وهو ما يدل على قدر من الزمن غير معين من قبيل: لحظة/ حين/ منذ/ مذ... ويحسن بنا في هذا الموضع إلى التنبيه على أن الوحدة اللغوية في ضوء نظرية التلفظ لا ينظر إليها بمعزل عن ما قبلها وما بعدها. وعلى ذلك فمقصودنا بالزمن المبهم هو الزمن الذي لا يحدد بذاته كالأنواع السابقة وإنما نقصد به الظروف المبهمة التي يكون تحديدها بالنسبة إلى ما يأتي بعدها من كلام. والظروف المبهمة وردت بنحو(٤٠) بيتا من أبيات المدونة ويتحدد أغلبها بما يأتي بعده من كلام في الزمن الحاضر ومن نماذج ذلك قوله من البسيط[١]:

مُنذُ اِحتَبَيتَ بِأَنطاكِيَّةَ اِعتَدَلَت حَتّى كَأَنَّ ذَوي الأَوتارِ في هُدَنِ

وَمُذ مَرَرتَ عَلى أَطوادِها قَرِعَت مِنَ السُجودِ فَلا نَبتٌ عَلى القُنَنِ

هكذا يغدو الزمن فاعلا في الخطاب وعلامة أكيدة على انغراس الذات في ملفوظها وقدرتها على تفضيل زمن دون غيره لتخلف أثرا بارزا في منزلة الذات صاحبة الملفوظ. وقد رأينا المتلفظ في مدونة البحث حريصا على تغليب الزمن المحدد في رسم هويته الشعرية مقارنة بالزمن غير المحدد. ومن هنا تظهر سلطة الآن الشعرية لكونها قادرة على ربط الأزمنة اللغوية بنظام شعري خاص يجلو وجهة نظر مصدرها وهو الأنا. والزمن في إطار التلفظ مشدود بأخيه المكان. فإذا ما كان النص الشعري لا يتم إلا في حدود زمنية فإنه كذلك لا يمكن أن يتحين إلا مؤطرا بأطر مكانية وهو ما يدفعنا للحديث عن المشيرات الفضائية.

يتبين لنا مما سبق عرضه من المشيرات الزمانية الواردة في المدونة أن المتنبي لم يكن مقيدا في زمن واحد، بل كان يتجه نحو الإطلاق .

٢ - المشيرات الفضائية

٢ -أ الإطار النظري

الفضاء مصطلح عام يشمل الأماكن والأحياز والمواضع ولئن تعددت في المفهوم والتقسيمات فإنها عندنا شيء واحد فهي مشيرات مكانية لا غير " فالنص يكشف عما يقول لا عما هو خارج عنه

(١) الديوان ، ص٢٤٧.

والدلالة تتحدد فيما يقول أيضـا ويبقى الحدث خارج النص وإن كان يلقي بظلاله عليه ويجعل القول ممكنا "[١] إنها معينات الذات المكانية هنا وهناك وفي هذا الصـدد فإننا تعاملنا مع المكان لن يكون تعاملا توثيقيا كما هو شأن المؤرخ وإنما يقتضي عملنا أن ننظر في المكان من حيث هو فضاء شعري مصوغ على هيئات لغوية شتى يكون فيها للمتلفظ مآرب ذاتية وبذلك تختلف هذه الدراسة عن غيرها ممن تناول المكان في المدونة نفسها.

ونقصد بالمشيرات المكانية في عملنا كل عنصر إشاري يرد في الخطاب دالّا على أماكن. ومن هنا تتنزل عنايتنا به من حيث إنه " المكان اللفظي المتخيل، أي المكان الذي صنعته اللغة انصياعا لأغراض التخييل"[٢]

والإشـاريات المكانية أمر لا بد منه لتنتظم الذات في خطابها. ذلك أنها تعنى بـــ " بتحديد المواقع بالانتسـاب إلى نقطة مرجعية في حدث التلفظ، وتقاس أهمية التحديد المكاني عموما انطلاقا من الحقيقة القائلة بوجود طريقتين رئيستين للإشارة إلى الأشياء، تتمثل الأولى بالتسمية أو الوصف وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى"[٣]

والمكان في أي خطاب تلفظي يحيل إلى الفضاء الذي يحدد وضعية المتلفظ أثناء التلفظ أو ماله علاقة به، مما يؤكد على مرجعيته التاريخية فالأنا في الملفوظ الشـعري ينتمي إلى أمكنته الثقافية وهي وسـيلة متبعة في قول الشـعر و"مقصّـد القصـيد إنما ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار... ليجعل ذلك سببا"[٤] يجلو من خلالها رؤيته الخاصة عبر ملفوظات مكانية يتلفظ بها.

إن الذات المتلفظة تتخذ من مكان تلفظها إطارا لتوليد المعاني التي تدور حولها تجاربه الذاتية

(١) استشـهد به محمد المعز جعفورة من أعمال زمتورر، في مقاله إيقاع الذات في آبتداءات القصـائد ضـمن مجموعة أعمال في الإيقاع والخطاب بإشراف سمير سميحي، كلية العلوم والآداب بالقيروان، تونس، ٢٠٢٠، ص ٩٨.

(٢) الفيصل (سمر روحي) بناء الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥، ص٢٥١.

(٣) الشهري (عبد الهادي)، استراتيجيات لخطاب مقاربة لغوية تداولية، ج١، ص١٢٧

(٤) الدينوري (ابن قتيبة)، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج١، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص٧٤.

وفق مقتضيات المقام شأنه في ذلك شأن المشيرات الزمانية باعتبارهما مكونين أساسيين من مكونات مقام التلفظ لا يستغنى بأحدهما عن الآخر.

تتشكل المشيرات الفضائية بادئ الأمر في حدود " المعنى الضيق هنا/ هناك. ويعيّن هنا المكان المحدود بشكل متغير حيث يتموقع المتلفظ، وفي المقابل فإن "هناك" يقتصر بكيفية تنازلية على مجال الأنت. إن هنا بمقتضى القيمة المشيرية يكون مشيرا بصفة دائمة أما هناك فغالبا ما يكون مشيرا [مكانيا]"[١] فإن قلنا مثلا: **الطالبة هنا في الفصل** دل ذلك على أن الطالبة قريبة من المتلفظ الموجود في الفصل لحظة تحدثه على خلاف أمّا إذا قلنا **الطالبة هناك في الفصل** فالملفوظ يدل على بعد الطالبة عن المتحدث الواقع خارج الفصل.

وإذا ما نظرنا إلى المشيرات المكانية بمعناها الواسع وجدناها تشمل كل ما يحدد مكانا ذا علاقة بذوات المتلفظ وتتوزع المبهمات المكانية إلى نوعين يمثل الأول منها أسماء الإشارة هذا وذاك[٢] ويختص الثاني بالظروف من قبيل فوق وتحت ويمين ويسار وأمام وخلف.

كما تخضع المشيرات المكانية لنفس الإشكالية الواردة في معينات الزمان في الخطاب الشفهي ولذا فإن معالجتنا لهذا الأمر من اعتبار القارئ باعتباره متلفظا مشاركا[٣] هو المرجع في تحديد الإشاريات المكانية قربا وبعدا أثناء تلفظه بالخطاب.

إن السؤال الذي يروم هذا العنوان الإجابة عنه يتمثل فيما يلي:

ما هي الأمكنة التي أوردتها الذات المتلفظة في ما أنجزته من خطاب؟ ثم كيف نظرت إليه؟ كيف تشكل المكان في النص وفق مرجعيات الأنا الثقافية؟ وما مدى تأثيره في الأنا إيجابا أو سلبا؟

---

(١) ينظر: ريفارا (رينيه)، لغة القصة (مدخل إلى السرديات التلفظية) ، ص٥٧.

(٢) سنرجئ الحديث عن أسماء الإشارة إلى المبحث الثالث من الفصل الأول في هذا العمل

(٣) يخرج من ذلك كل مشير مكاني لا يتعلق بذوات التلفظ أي ما يكون تحديده بالنسبة لأشياء أخرى كقولنا: اختبأ الطفل خلف الباب فالباب لي طرفا في التلفظ ولذا لن ننظر في كل ما شكله لأن المبحث يدرس المشيرات المكانية كمعين للذات المتلفظة.

وفي ضوء ذلك سنتناول أهم تمظهرات الذات في الخطاب من خلال توسلها باسم المكان. إن القارئ لا يلبث أن يجد نفسه يتنقل في عوالم خيالية عبر الملفوظات التي يشركه فيها المتلفظ.

وباستقراء المدونة رأينا المتنبي يتعامل مع المكان ككائن لغوي في خطابه يتوسل به وهو " إجراء توظيف يغنيه عن الإطناب ويحقق للمعنى سرعة في بلوغ أثره إلى السامع"[١]

وقد اختلفت مواقف المتنبي تجاه الأماكن وهذا الاختلاف ما هو إلا نتيجة رؤيته للمكان فيتخذ موقفا ذاتيا مما يقول وبعد حصر الأماكن الواردة في المدونة وجدنا أماكن محددة وأخرى غير ذلك وهذا هو التقسيم المناسب للمدونة.

٢ - ب التطبيق

٢- ب - ١ الأماكن المحددة

ونقصد بها كل مكان يكون له حدود لغوية في خارطة القارئ الذهنية والمكان المحدد في منجز المتنبي الشعري ينقسم وفق ثنائية الانفتاح والانغلاق إلى قسمين، هما:

١ – ١ المكان المفتوح

ويتمظهر الفضاء المفتوح بأماكن ذات طبيعة صحراوية أو ذات طبيعة مائية وسننظر في كل نوع منهما وحتى لا يطول الحديث في ذكر الأماكن فإننا سنقصر النظر فيهما على أبرز ما نستشف منه تعيين الذات.

١-١-١ المشيرات المكانية المعبر عنها باسم الجنس [٢]وأشهر ما يمثلها في الديوان الأطلال والصحراء وتضاريسها الجبلية.

أما ما يتعلق بالطلل فيتبوأ مطالع القصائد دائما لذا يكون الوقوف على الأطلال محيلا على حالة الأنا الواقف بالمكان ومخبرا عن موقفه تجاهه. إن الحديث عن الطلل من المعهود المشترك بين

(١) حيزم (أحمد)، فن الشعر ورهان اللغة بحث في آليات الخطاب الشعري عند البحتري، ص ٤١٠.

(٢) اسم الجنس هو م وضع لشيء بعينه ذهنا. الجرجاني (علي بن محمد الزين الشريف)، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٣، ط١، ص١٥٧.

الشعراء إلا أن هذا المشترك يتزيا بأحوال خاصة توفر مجالا لتعرف الأنا. ولننظر في قوله من البسيط[١]:

فَمـا أَمُـرُّ بِـرَسـمٍ لا أُسـائِـلُـهُ وَلا بِـذاتِ خِـمـارٍ لا تُـريـقُ دَمـي

إنه يسـائل الطلل غير أن هذا الموقف لايفتأ أن تنقلب الموازين فتصـبح الأنا مجيبة والطلل سائلفيقول من البسيط[٢]:

أَجـابَ دَمعي وَمـا الـداعي سِـوى طَلَـلٍ دَعـا فَـلَـبّـاهُ قَـبـلَ الـرَكـبِ وَالإِبِـلِ

وفي بعض الأحيان يبدو صوت الأنا شاكيا والشكوى تستجلب دموعه فيخاطب الآخر طالبا منه أن يقف ليس على الطلل وإنما على ما اسود من آثاره فيقول من الخفيف[٣]:

قِـفْ عـلـى الـدِّمْـنَـتَـيـنِ بِـالـدَّوِّ مـن رَيّـ ـــا كَـخـالٍ في وجـنـةٍ جـنـبَ خـالِ

إن الذات المتلفظة في ما سبق لها من أحوال ليس غايتها الإخبار ولا تريد أن يأخذ المتلفظ المشار كالمعنى القضوي[٤] للجملة وإنما المراد في ذلك القوة المضمنة في القول وهي في النماذج الإثبات. إنه يريد أن يصل نتيجة مفادها إثبات ألفته بهذا المكان حتى وإن عفا ودرس.

كما يتبنى المتلفظ موقفا آخر مما يقول متمثلا بتوسـله بالبيداء وهي في لغة العرب" المفازة المستوية وقيل هي المكان المستوي المشرف وإشرافها شيء قليل لا تراها إلا غليظة صلبة لا تكون إلا في أرض طين وسميت بذلك لأنها تبيد سالكها"[٥]

تتوسل الأنا بالبيداء والصحراء والمهمه والمفازة وإن كانت كلها تدور حول معاني متقاربة فإن ما يهم الأنا هو ما يوفره لها ذكر هذه الأماكن المقترنة بغرض الرحلة لترسـم صـورة للأنا المرتحلة التي

(١) الديوان، ص٢١٤.

(٢) السابق، ص١٥٨.

(٣) السابق، ص١٧٦.

(٤) أي المعنى الحرفي للجملة وقد ميز أوستين وسيرل بين واسم المضمون القضوي في القول والقوة المضمنة في القول ولمزيد اطلاع راجع: القاموس الموسوعي للتداولية، ص٥٦٦.

(٥) لسان العرب، ج ٢، ص١٨٨.

تقطع الصحراء الواسعة وتجوب الفيافي والقفار يقول من الوافر(١):

شِـيَـمُ الـلّـيـالـي أنْ تُشـكِّـكَ نـاقَـتـي صَـدْري بـهـا أفضَـى أمِ الـبَـيـداءُ

وقوله من المنسرح(٢):

وَمَـهـمَـهٍ جُـبـتُـهُ عَـلـى قَـدَمـي تَـعـجِـزُ عَـنـهُ الـعَـرامِـسُ الـذُلُـلُ

والذات المتلفظة لا يستقر بها مكان كما وإنما تنشد الترحال شرقا وغربا فيقول من الخفيف(٣):الَّذي زُلتَ عَنهُ شَرقًا وَغَربًا =وَنَداهُ مُقابِلي ما يَزولُ

وتحكي الذات أنه لا تطيب لها الإقامة وإنما ألفت الترحل في شتى الجهات فنراه يقول من الوافر(٤):

أَلِـفـتُ تَـرَحُّـلـي وَجَـعَـلـتُ أَرضـي قُـتـودي وَالـغُـرَيـرِيَّ الـجُـلالا

فَـمـا حـاوَلـتُ في أَرضٍ مُـقـامـًا وَلا أَزمَـعـتُ عَـن أَرضٍ زَوالا

عَـلـى قَـلَـقٍ كَـأَنَّ الـريـحَ تَـحـتـي أُوَجِّـهُـهـا جَـنـوبـًا أَو شَـمـالا

تظهر الإشاريات المكانية (في أرض/ تحتي/ جنوبا/ شمالا) امتداد المسافات التي تقطعها الأنا فالمكان واسع وممتد امتداد الذات المشغوفة بالتنقل والترحال مما جعل الذات تصرح بموقفها من البر فتسبغ عليه حكم قيمة وجدانية. وتبدو الصحراء بما فيها من جبال شاهقة من الأماكن الأكثر انشدادا إلى المتلفظ تحكي أحواله في لوحة المفاخر وهي تشير إلى ما يكتنف قطع المهامه من خطورة إنه افتخار الأنا بشجاعته وعندما تبرز الذات المخاطرة بأناها لمواجهة هذه المهالك ينفتح أمامها مجال واسع تستثمره في الإشادة بمفاخرها فتقرر موقفها بالانتماء إلى هذا الفضاء الصعب بملفوظات

(١) الديوان، ص ١٥

(٢) السابق، ص١٧٩.

(٣) السابق، ص١٧١.

(٤) السابق، ص١٨١

موسومة بمياسم ذاتية عدة.يقول من المتقارب[١]:

أَنـا اِبـنُ الـفَـيـافي أَنـا اِبـنُ الـقَـوافي أَنـا اِبـنُ السُـروجِ أَنـا اِبـنُ الـرِعـانِ

وإذا كانت الذات المتلفظة مسكونة بهاجس أنا المفتخر وتغلب على لوحة مفاخره الطبيعة البريةالشاقة فإنه لا يغيب عنها شريكها في العملية التخاطبية فنراه يصف ممدوحه بأنه خير من تحت السماء ومن ذلك قوله من الوافر[٢]:

أَأَنـطِـقُ فـيـكَ هُـجـراً بَـعـدَ عِـلـمـي بِـأَنَّـكَ خَـيـرُ مَـن تَـحـتَ السَـمـاءِ

وقد لاحظنا أن تذويت الخطاب لا يقتصر فيه الأنا على ذكر المكان باسم الجنس وإنما يعضده اسم العلم وهذا ما يسوغ لنا الحديث عن الأماكن المحال عليها في المدونة باسم العلم.

١ – ١ – ٢ المشيرات المكانية المعبر عنها باسم العلم وتشمل في الديوان أسماء المدن وأسماء البحار ومسميات الأنهار والجبال.

لقد ورد اسم العلم الدال على المكان في ديوان المتنبي كثيرا أحصينا منها هنا ما يكون تحديده منطلقا من المتلفظ وهو مصدر الأرصاد المشيرية في اللسانيات التلفظية.

فمن المدن أو المواضع في المدن التي ذكرها منشئ العملية التخاطبية: نجد، العراق، مصر، الحدالي ، غرّب، سمندو، أرض آمد، منبج، أرض فارس، دار أثلة، حلب، أنطاكية، العواصم، أرض الشام، تربان، اللاذقية، طرسوس، أرجان، حمص....

ومن الجبال: رضوى، الأحيدب، ثبيرا، المقطّم.

ومن الأنهار: الصراة، الغوير، حيران، الدأماء، النيل، الفرات. ومن شواهد ذلك قوله من الطويل[٣]:

أَرى دونَ مـا بَـيـنَ الـفُـراتِ وَبَـرقَـةٍ ضِـرابـًا يُمَشّـي الخَيلَ فَوقَ الجَماجِمِ

(١) الديوان ، ص٢٤٣.

(٢) السابق، ص١٤.

(٣) السابق، ص٢٢٨.

تتبادر إلى الذهن تساؤلات حول إيراد المتنبي لهذه الأماكن؟ فهل هي مقصودة لذاتها؟ وكيف أجريت في عملية القول؟ وما الهدف من إيرادها وكيف تفسر في ضوء نظرية التلفظ؟

إن هذه الأماكن لها وجود في واقع البشرية ومحدودة بحدود جغرافية، ولكنها رغم ذلك ليست غاية في فنون القول وإنما تستغلها اللسانيات التلفظية باعتبارها واحدة من الأدوات التي توفرها اللغة لمنشئ القول فإذا هو يختار من المشترك ويحقق فرديته " بالكيفية التي يعيد بها المشترك من الكمون إلى الإنجاز"[١]

ومن هنا نستطيع القول بأن اسم العلم المكاني نموذجي لا يحيل بالضرورة على تجربة واقعية تربط بين المتلفظ وما يتلفظ به من أعلام مكانية وإنما بوصفه "مكانا شعريا يوقع ذكره في نفس السامع قصته مع الذاكرة الشعرية"[٢] وبهذا يكون اسم الموضع كوحدة لسانية كفيلا" باختزال الدلالة"[٣] ويخدم الاسم المبالغة.

ودراسة العلم المكاني في شعر المتنبي اقتضت أن يكون النظر إليها مصحوبا بما يجاورها من ملفوظات سابقة له في الغالب أو لاحقة في بعض الأحايين تشهد مواقف تصدرها عن الذات المتلفظة وحينئذ يكون اسم العلم معينا من معينات عملية التلفظ.

ولعلنا نستشهد ببعض الشواهد التي جرى فيها ذكر الأمكنة فمنها قوله من الكامل[٤]:

أَوَ ما وَجَدتُم في الصَراةِ مُلوحَةً مِمّا أُرَقرِقُ في الفُراتِ دُموعي

والصراة والفرات نهران بالعراق وماء الأنهار عذب غير أن الذات المتلفظة توسلت بهذينالمكانين وهما من المشترك بين سائر الشعراء وأخرجتهما مخرجا خاصا بها تحكي قصتة الذات الحزينة الباكية حتى أحالت دموعها مياه النهرين مالحا ودموع الحزن مالحة والملوحة من الصفات التقيمية غير

(١) حيزم(أحمد) ، من شعرية اللغة إلى شعرية الذات، ص٣٧.

(٢) حيزم(أحمد) ، فن الشعر ورهان اللغة، ص٤١٠.

(٣) نفسه، ص٤١١.

(٤) الديوان، ص١٢٠.

القيمية وإلى الأنا ترتد أحكام القيمة.

كما تستغل الأنا – أيضا– التوسل بأسماء جبال في رسم الذات العاشقة. يقول من الوافر(١):

أُحِبّكِ أوْ يَقُولوا جَرّ نَمْلٌ ثَبِيرَ أوِ ابنُ إبْراهِيمَ رِيعَا

وثبير" من أعظم جبال مكة"(٢)ويبدو صوت الأنا هنا صوتا حميميا لذا تصّدر البيت بفعل **أحبك** الكفيل بحكاية الأنا العاشق.

وإذا ما كان جبل ثبير قد رسم لنا تجربة للمتلفظ فإن جبالا أخرى رسم فيها الأنا مفاخر شريكه في الخطاب فنراه يقول من الكامل في مرثية محمد التنوخي(٣):

ماكُنتُ آمُلُ قَبلَ نَعشِكَ أَن أَرى رَضوى عَلى أَيدي الرِجالِ تَسيرُ

وقوله من الطويل(٤):

نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ كُلّهِ كمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدّراهِمُ

ورضوى" جبل من ينبع على مسيرة يوم ومن المدينة على سبع مراحل" والأحيدب علم عليجبل " مشرف على الحدث بالثغور الرومية"(٥) واسم المكانين هنا يعزز ما يسبقهما من أوصاف توحي بقدر هذا الممدوح.

فهذه الأحاسيس (أحبك / آمل) مما دأب عليه الشعراء وجرت في أشعارهم مجرى العادة فالشاعر " متلفظ إنساني (Enunciator human)(٦)كما يرى رابتال وهو في ما يقوله من شعر لا يعول على مخيلته ليأتي بمعان بكر وإنما يستند على ما تمليه عليه ذاكرة الشعر العربي" ليتبع لا

(١) الديوان، ص١٢١.

(٢) الحموي(ياقوت) ، معجم البلدان، ج٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ط٢، ص٧٢.

(٣) الديوان، ص٩٨.

(٤) السابق، ص٢٠٧.

(٥) السابق، ج١، ص١١٨.

(٦) استشهد به محمد معز جعفورة في مقاله إيقاع الذات في ابتداءات المعلقات، ص٩٨.

ليبدع"[١] أي يتبع غيره في استعماله الألفاظ اللغوية المشتركة (الدالة على المكان مثلا) لا ليبدع ألفاظا(مكانية) خاصة به وإنما يبدع بكيفية إجراء هذه الأماكن المشتركة بطريقة قولية خاصة به . طالما أن المعاني في الشعر تتسم بـ " السرمدية"[٢]

ومثلما لجأ المتلفظ إلى استحضار الأماكن المفتوحة في ما يتلفظ به وجدناه يتوسل بالأماكن المغلقة.

١ – ٢ الأماكن المغلقة.

ونقصد بالمكان المغلق الحيز المكاني الضيق. ولقد لاحظنا قلة وروده ويمثله في الديوان لفظتي السجن والقبر. والسجن مكان تتقيد فيه الحرية ومن هنا تبلور موقف الذات السلبي من الأمكنة الضيقة لاحتوائها على معنى المحدودية وهو ما يثير ضربا من الشعور بالملل والسأم فيكشف لنا الخطاب عن أنا منشئه. يقول من الوافر في رثاء والدة سيف الدولة[٣]:

يَمُرّ بِقَبرِكِ العافي فيَبكي ويَشغَلُهُ البُكاءُ عَنِ السّؤالِ

وعوض السؤال عن الميت والدعاء له يبكي المار بالقبر. إنها صورة للذات الباكية وقد استعملت الجناس بهذه الطريقة تعظيما لأثر البكاء في النفوس.

أما الأنا الشاكية فنلمح تصويرها في قوله من المنسرح[٤]:

أَهوِن بِطولِ الثَواءِ وَالتَلَفِ وَالسِجنِ وَالقَيدِ يا أَبا دُلَفِ

كُن أَيُّها السِجنُ كَيفَ شِئتَ فَقَد وَطَّنتُ لِلمَوتِ نَفسَ مُعتَرِفِ

فالشكاية هنا أمارة دالة على توتر العلاقة بين الأنا والآخر وهذا التوتر ولّد صراعا بين الأنا والآخر والسجن هنا يحكي ألم الذات. كما دل استغلال ظاهرة التجنيس –كما ذهب إلى ذلك زمتور – على

(١) محمد معز جعفورة في مقال: إيقاع الذات في ابتداءات المعلقات، ٩٩.

(٢) حيزم (أحمد) ، من شعرية اللغة إلى شعرية الذات، ص٢٠.

(٣) الديوان، ص١٤٩.

(٤) السابق، ص١٢٦.

"معرفة الشاعر باللغة وتؤكد أنها علامات تعين الذات"(١)

في ضوء ما سبق تبين لنا موقف المتلفظ من المكان المحدد بنوعيه المفتوح والمغلق وهذا بدوره يدفعنا إلى النظر في موقف الذات من الأمكنة غير المحددة.

٢- ب - ٢ المكان غير المحدد.

ويشار إلى هذا النوع بعناصر إشارية تدل على أماكن يعتمد استعمالها وتأويلها على معرفة المخاطب لمكان منشئ القول لحظة إنشائه وهذا الأمر صعب إذا يستلزم وجوبا وجود المتكلم والمخاطب معا في مكان القول وزمانه ويقول الأول للثاني هنا أو هناك وهذا ما نفتقده في النصوص الكتابية. وللخروج من هذه المعضلة سنعالج هذا النوع من المكان بما تشير إليه دلالته حسب وروده في السياق قربا أو بعدا من صوة التلفظ.

والمشير المكاني (هنا) "يعين المكان المحدود بشكل متغير حيث يتموضع المتلفظ وفي المقابل فإن هناك يقتصر بكيفية تنازلية على مجال الأنت بحيث نكاد نجد ،على حد السواء، تعال هنا وتعال هناك في حين أن اذهب هنا تظل مستحيلة تماما بمقتضى القيمة المشيرية للفعل ذهب الذي يسم ابتعادا عن المتلفظ"(٢)

تطالعنا في الديوان ألفاظ تدل على أمكنة غير محددة في (١٤) موضعا فقط وهي من قبيل: هنا، ها، حيثما.

ومن شواهد ذلك قوله الكامل(٣):

وَخَيْلٍ حَشَوْنَاهَا الأَسِنَّةَ بَعدَمَا تكَدّسنَ من هَنّا عَلَيْنَا وَمن هَنّا

وقوله من الطويل أيضا(٤):

لا تَجْسُرُ الفُصَحاءُ تُنشِدُ هُنا بَيْتًا ولكِنّي الهِزَبْرُ البَاسِلُ

(١) استشهد به محمد معز جعفورة في كتابه الموسوم: أبو تمام وتجربة البحث عن الذات، ص١٣٣.

(٢) ينظر: ريفارا(رينيه) ، لغة القصة(مدخل إلى السرديات التلفظية) ، ص٥٧.

(٣) الديوان، ص٢٣٩.

(٤) السابق، ص١٨٧.

ومن الخفيف قوله[١]:

وَمَعي أَينَما سَلَكتُ كَأَنّي كُلُّ وَجهٍ لَهُ بِوَجهي كَفيلُ

إن الألفاظ (هنا، ههنا، ها) الواردة في الديوان تبين لنا أن المتلفظ ليس في قطيعة عن الإطار المكاني الذي جرت فيه عملية التلفظ ولذا أقصى ما يدل على هناك من خطابه.

إن استحضار الذات المتلفظة للمكان بأسمائه وصفاته المتنوعة وسواء كان محددا أو غير محدد "يتعهد التأكيد على انتماء الشاعر إلى مملكة الشعر وهذا الانتماء يمكنه من ممارسة السلطة وهي سلطة القول مما يكفل له إجبار الآخر على الاحتفاء به والإصغاء إليه"[٢]

وقد توصلنا من خلال هذه المشيرات الفضائية المحددة إلى أن المتلفظ لم يقيد ذاته في مكان واحد معين، بل تشهد ملفوظاته تنقلات عديدة تكشف لنا ذات المتلفظ المسكونة بهاجس الترحال وهذا ما يخبر بأنها ذات تتجه نحو الانفتاح.

والذي نخلص إليه بعد النظر في الإشاريات الزمانية والمكانية ما يلي:

١ – أن الزمان والمكان فكرتان متعانقتان وهما وسيلتان يجري بهما تعرّف الذات في خطابها.

٢ –وعي الذات الشعرية بعلاقتها بالزمان والمكان ومدى تأثيرهما فيها وهو ما يدفعها إلى اتخاذ موقف تقويمي منهما.

٣ – أن المشيرات الزمانية والمكانية الدالة على الذات تذهب في اتجاه واحد هو الإطلاق في الزمان والانفتاح في المكان وهذا ما يؤكد أنها شخصية المتنبي في شعره ذات مشدودة نحو الحرية لا تقيدها حدود زمكانية.

(١) الديوان ، ص١٧١.

(٢) ينظر: الواد (حسين)، جمالية الأنا في شعر الأعشى الكبير، ص ١٠٦.

الخاتمة

تبينا في هذا البحث البصمات اللغوية التي تحيل إلى الذات المتلفظة واقتفينا هذه الآثار في الضمائر أولا وزمن التلفظ ومكانه ثانيا باعتبارهما مكونات مقام التلفظ.

تناولنا في المبحث الأول الضمائر الشخصية وعلاقتها بالذاتية وبيّنا من خلاله أنها تنحصر فقط في ضميريْ المتكلم والمخاطب أما ضمير الغائب فيعدّ ضمير لا شخص. ولقد نظرنا في هذا الحضور المكثف لضمير الأنا في ملفوظها وخلصنا إلى أنّه يمثّل العلامة البارزة الدالة على الذاتية وظهر جليا حرص المتلفظ بوصفه صاحب سلطة كلامية على استحضار مخاطبه وفق علاقة تواصلية ذات نزعة متعالية تارة ومتوافقة تارة أخرى.

ومن ثم تقصينا في المبحث الثاني المشيرات الزمانية والمكانية باعتبارهما مكونين ضروريين في عملية التلفظ وانتهينا إلى أن المتلفظ مسكون بهاجس الحرية لذا تسير القرائن الزمكانية في خطين متوازيين هما الانفتاح المكاني والإطلاق الزماني.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

ديوان المتنبي، راجعه يوسف البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٤٢.

المراجع:

١- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان،٢٠٠٨.

٢- أوريكيوني(كربرات)،فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نظيف، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧.

٣- التفتازاني (سعد الدّين)، المختصر ضمن شروح التلخيص، دار السرور، بيروت ـ لبنان، د ـ ت.

٤- الجطلاوي (الهادي)، قضايا اللغة في كتب التفسير، دار محمد علي الحامي، الجمهورية التونسية،١٩٩٨.

٥- جعفورة (محمد المعز)، أبو تمام وتجربة البحث عن الذات، الدار التونسية للكتاب، تونس، د.ت.

٦- جعفورة (محمد المعز)، الإيقاع والخطاب بإشراف سمير سميحي، كلية العلوم والآداب بالقيروان، تونس، ٢٠٢٠.

٧- الحداد (عباس يوسف)، الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار، سورية، ٢٠٠١.

٨- الحموي(ياقوت)، معجم البلدان، ج٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ط٢، ص٧٢.

٩- حيزم (أحمد)، من شعرية اللغة إلى شعرية الذات، دار صامد، صفاقس ـ تونس، ٢٠١٠.

١٠-حيزم،(أحمد)، فن الشعر ورهان اللغة بحث في آليات الخطاب الشعري عند البحتري، دار محمد علي الحامي، تونس، ٢٠٠١.

١١-ديكرو (أزوالد) القول والمقول، ترجمة بسمة الشكيلي، دار محمد علي، تونس، ٢٠١٩.

١٢-الدينوري (ابن قتيبة)، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج١، دار المعارف، القاهرة،د.ت

١٣- ذهيبة (حمو الحاج)، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، د. ت، ط٢.

١٤- ريفارا (رينيه)، لغة القصة (مدخل إلى السّرديات التلفظيّة)، جامعة القصيم، السعودية، ١٤٣٦.

١٥- السامرائي (فاضل صالح)، معاني النحو، ج٢، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، ١٤٢٠، ط١.

١٦- شاودو(باتريك) و منغنو (دومينيك)، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبدالقادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٣.

١٧- الشكيلي (بسمة)، المنوال البلاغي من البناء القائم إلى البناء الممكن، مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، ٢٠١٤.

١٨- الشهري (عبد الهادي بن ظافر)، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار كنوز المعرفة، عمّان، ٢٠١٥ط٢.

١٩- الفيصل (سمر روحي) بناء الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٥.

٢٠- كوهن (جان)، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ـ المغرب، ٢٠١٤، ط٢.

٢١- مطلك (حيدر لازم)، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، دار صفاء، ٢٠١٠.

٢٢- مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، بيت الحكمة، تونس، ٢٠١٢.

٢٣- موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة، راجعة: صالح بن عبد العزيز آل شيخ، دار السلام، السعودية، الرياض، ١٤٢٠.

٢٤- الواد (حسين)، المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤.

٢٥- **الشبكة العنكبوتية:**

٢٦- معجم المعاني، https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

فهرس الموضوعات

المحتويات

الملخـــص ١٨٤٩

المقدمـــة ١٨٥١

المبحث الأول: ضميرا الشخص وتعالق الذاتيّة ١٨٥٥

المبحث الثاني: المشيرات الفضائيّة والزّمانيّة ١٨٧٦

الخاتمة ١٨٩٩

قائمة المصادر والمراجع ١٩٠٠

فهرس الموضوعات ١٩٠٢